الجزء الرابع		المجلد الثلاثون

# مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٥		١٣ صفر سنة ١٣٧٥

## جرير

### — ٣ —

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما الأغراض التي نظم جرير فيها فأهمها الهجاء والغزل ، ثم المدح والفخر والرثاء ، ويأتي بعدها أغراض شتى لم يعنَ بها كثيراً كالوصف والحكمة وما إليها .

### الهجاء

جرير شاعر هجّاء ، بل هو أكبر الهجّائين في العصر الأموي الذي استشرى فيه هذا الفن . كان الهجاء أول ما جرى على لسانه من الشعر ، وظل يمارسه طول حياته حتى أسكته الموت ؛ ولقد تألب عليه نحو من خمسين شاعراً فأسقطهم كلهم إلاّ الفرزدق والأخطل لذلك فأكثر شعره في الهجاء ، قال مشيراً الى عدد الشعراء الذين تألبوا عليه وهجوه فأسقطهم : ( ديوان جرير ص ٣٤٣ )

أعددتُ للشعراء كأساً مُرَّةً		عندي مُخالطها السِّمام المُنْقَعُ

هلاّ نهاهم تسعةٌ قتّلتهم أو أربعون حدوتهم فاستجمعوا
خصيت بعضهمُ وبعضٌ جُدّعوا فشكا الهوانَ الى الخصيّ الأجدع

وهو على خبث لسانه وإقذاعه في الشتيمة شريف في خصامه لم يتخذ الهجاء أداة يتكسب بها كما فعل غيره . بل كان يعتبره سلاحاً ينازل به الأنداد من الخصوم ؛ فكل من هاجاهم شعراء أو في معناهم . ولم يكن يبدأ أحداً بالهجاء بل كان الشعراء يتحرشون به فيصليهم ناراً حامية ؛ وكان إذا روى شيئاً من الهجاء استغفر الله وأطال التسبيح . قال له يوماً رجل : ما يغني عنك هذا التسبيح مع قذفك للمحصنات ؛ فتبسم وقال : يابن أخي ( خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ) إنهم والله يابن أخي يبدءونني ثم لا أحلم [1] .

وفي شدته على الشعراء يقول : ( الديوان ص ٥١٣ )

عوى الشعراء بعضهمُ لبعض عليَّ فقد أصابهمُ انتقامُ
كأنهمُ الثعالب حين تلقى هزبراً في العرين له انتحام
اذا أوقعتُ صاعقةً عليهم رأوا أخرى تَحَرّقُ فاستداموا
فمصطلَمُ المسامع أو خصيٌّ وآخر عظم هامته حُطام

ويقول : ( الديوان ص ٣٥٥ )

كان الذين هجوني من ضلالتهم مثل الفراش وحر النار إذ يقعُ

ويقول : ( الديوان ص ٤٩٥ )

ترى الشعراء من صَعِقٍ مُصابٍ بصكته وآخرَ مستديمِ

وجرير يعتبره الرواة أكرم الهجائين لأنه لم يهجُ أحداً مدحه ولم يمدح أحداً هجاه . قال أبو عبيدة : « كان المخبَّل القريعي أهجى العرب ، ثم كان بعده حسان بن ثابت ثم الحطيئة والفرزدق وجرير والأخطل ، هؤلاء الستة الغاية في

(١) الأغاني ، ج ٨ ص ٤٤ .

الهجاء وفي غيره ، لم يكن في الجاهلية ولا في الاسلام لهم نظير ، وكان جرير أشدهم تكرماً ، لم يمدح أحداً فهجاه ولم يهج أحداً قط فمدحه ، وكان الفرزدق يمدح الرجل ثم يهجوه (١) » .

وعلى يد جرير وصاحبيه الفرزدق والأخطل استطار شر الهجاء وهتك الشعراء أعراضهم وأشاعوا المثالب وأفحشوا في القذف حتى أصبح الهجاء في العصر الأموي أوسع فنون الشعر ، ولو جمعت نقائض جرير وجميع الشعراء الذين هاجاهم لكانت أكبر ديوان عرفه الشعر العربي ، والذي وصل الينا منها نقائض جرير والفرزدق ونقائض جرير والأخطل وفيها ما يربو على الغاية ، وضاعت نقائض بقية الشعراء الذين هاجاهم وهم أكثر من أربعين شاعراً نصبوا له فرماهم واحداً بعد واحد .

وقد يعجب الإنسان لاحتمال العرب لهذه المساجلة من الشتائم مع ما عرف عنهم من الأنوف الحمية والعصبية الشديدة ، لأن الشاعر لم يكن يقتصر على قذف المهجو بل يتعداه الى أهله وقبيلته ويسهب في هذه الناحية كثيراً . ولعلهم كانوا يعتبرون الهجاء حرباً لا يجوز أن يكون السلاح فيها غير الكلام ، ولهذا الاعتبار سموا القصائد التي يتهاجى بها الشاعران نقائض ؛ فكأن الشاعر ينقض بجوابه جميع ما بناه خصمه من المثالب ويمحو ما نبزه وقومه به من المعائب ؛ ومن سقط في المعركة كف عنه خصمه ولم يعد إلى مبارزته .

وجرير في هجائه خصم شديد جريء ، واسع الحيلة بصير بالمقاتل لا يخطئ المرمى ، يهاجم خصمه في نفسه وأهله وقبيلته ، لا يعرف هوادة ولا يقف عند حد ؛ بل يقذع ويفحش ويهتك الأعراض ويشيع المثالب ويبالغ ويتزيد ويختلق ويفتري على النساء ؛ ويظهر طبعه أقوى ما يكون وأشد تدفقاً ،

---

(١) نقائض جرير والفرزدق ، ص ١٠٤٨ .

وبوائيه حسن التعبير وبراعة الصوغ فيكرر المعنى الواحد في قصائد متعددة فيكون له وقع خاص كأنه معنى جديد . قال البحتري : « جرير لا يتجاوز هجاء الفرزدق بأربعة أشياء : بالقين وقتل الزبير وبأخته جعثن وامرأته النوار [1] » وتسير أبياته مسير الشمس فترويها الخاصة والعامة لسهولتها وانسجامها .

وأشد ما في هجائه السخرية والتهكم واللذع والمرارة ، يهزأ بالمهجو فيبرزه ألعوبة ممسوخة تستثير الضحك ويتهكم به وبقومه فيجعلهم سخرية لا شأن لهم ولا خطر ، يسخر من هيئاتهم ومهانتهم وأقوالهم وأفعالهم وقبح نسائهم وخساسة رجالهم وقذارتهم وسقوط هممهم ، بأسلوب مملوء بالتهكم والهزء . روي عنه أنه قال : « إذا هجوتَ فأضحك [2] » فالفرزدق قرد أصلع أو لعبة من لعب الصبيان ينزو بأثواب مصبغة مزركشة ، والأخطل خنزير هرم يتقمم الخبائث ويعب في أم الخبائث ، فاذا رأى راية حرب طار فؤاده واستجار بمرجس وأعلن أنه وقبيلته من القائلين بالسلام لا بالحرب والخصام . وبنو تيم همل لا يبالي بهم أحد ، يُقضى عليهم وهم غائبون ، ولا يستشارون وهم حاضرون ، وتنتف شوارب وفودهم على أبواب الملوك . ولعل نثر معانيه في هذا الباب مما يذهب بطلاوتها فسير بك بعضها .

ولا يستجيب الشعر لجرير في فن من الفنون كما يستجيب له في الهجاء ، فتراه يشتد ويقوى ويتدفق طبعه ويثقب ذهنه وتفتح له أبواب القول وتنبسط آفافه ، فيصيب الهدف ويرمي بالصواعق ويبعث بالشوارد ويأتي بالمضاحك والأفاكيه ولا تغيب عنه النكتة ، ويسلس له عنان المقال فيبلغ منه ما يشاء ويجمع ثلاثة في قرَن واحد :

(١) الموشح للمرزباني ، ص ١٢٤ .
(٢) العمدة لابن رشيق ، ج ٢ ص ١٤٠ .

لما وضعتُ على الفرزدق ميسمي وضغا البعيث جدعتُ أنف الأخطل

ويصل بين اثنين بأدهى صلة :

ترى برصاً بأسفل إسكتيها كعنفقة الفرزدق حين شابا

ويسقط قبيلة ببيت واحد :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

ويعبث بالمهجو وقبيلته فيصورهم صورة مضحكة فيجتنبون الإتيان بما هجاهم به خلفاً عن سلف ، روي عنه أنه قال : لقد قلت في تغلب بيتاً لو لدعتهم الأفاعي بأستاههم بعده لما حكوها :

والتغلبي إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الأمثالا

ومر [1] بلال بن جرير بمنازل تيم ، فقال النساء : مرحباً بابن جرير انزل فلك ما شئت من شواء وأقط وتمر ، أما الطحين فلا طحين . يردن بذلك ما قاله فيهن جرير :

إذا حركت تيمية هادي الرحى تنفس قنباها وطار طحينها

ولو خلا هجاء جرير من الإقذاع لكان في دراسته متعة ولذة وفائدة لما فيه من قوة العارضة وحسن البادرة وشيوع النكتة ولذع التهكم ومر السخرية ، أضف الى ذلك بعض الحوادث التاريخية كالمثالب التي يعيب بها قبيلة المهجو ، والمفاخر التي يفخر بها عليه في الجاهلية والإسلام مما يحمل للقارئ كثيراً من أيام العرب وحوادث القبائل وأخبار بعضها مع بعض .

وهجاؤه كله قوي معدود من أجود شعره وجامع لأكثر خصائصه التي امتاز بها . من ذلك قوله يهجو الفرزدق : ( الديوان ص ٥٥٩ )

لقد ولدتْ أمُّ الفرزدق فاجراً فجاءت بوزواز قصير القوائم

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ، ج ٣ ص ٣٩٧ .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وما كان جارٌ للفرزدق مسلمٌ ليأمن قرداً ليله غير نائم
يوصِّل حبليه إذا جنَّ ليله ليرقى إلى جاراته بالسلالم
تدليتَ تزني من ثمانين قامةً وقصَّرتَ عن باع العلى والمكارم

وقوله فيه : (الديوان ص ٢٨١)

وهل كان الفرزدق غير قردٍ أصابته الصواعق فاستدارا
وكنتَ إذا حللتَ بدار قومٍ رحلتَ بخزية وتركتَ عارا

وقوله فيه : (الديوان ص ٤٨٢)

ابتُ سلاحي والفرزدقُ لعبةٌ عليه وِشاحا كُرَّجٍ وجلاجِلُهْ
أعدوا مع الحلي الملاب فانما جرير لكم بعلٌ وأنتم حلائله

وقوله فيه وكان الفرزدق قد حلف ليقتلن مربعاً راوية جرير : (الديوان ص ٣٤٨)

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربعُ

وقوله يهجو الأخطل : (الديوان ص ٥٢)

أبا مالكٍ مالت برأسك نشوةٌ وبالبِشر قتلى لم تطهر ثيابُها
ظللت تقيء الخندريس وتغلبٌ مغانم يوم البشر يُحوى نهابها
أيفخر عبدٌ أمه تغلبيةٌ قد اخضرَّ من أكل الخنانيص نابها
غليظة جلد المنخرين مصنةٌ على أنف خنزيرٍ يُشدَّ نقابها

وقوله فيه : (الديوان ص ٤٥١)

والتغلبي إذا تنحنح للقِرى حك أُسته وتمثل الأمثالا
حملتْ عليك حماةُ قيسٍ خيلها شعثاً عوابس تحمل الأبطالا
ما زلتَ تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تشد عليكمُ ورجالا
قال الأخيطل إذ رأى راياتهم يا مار سرجس لا نريد قتالا
لو أن تغلب جمعتْ أحسابها يوم التفاضل لم تزن مثقالا
تلقاهمُ حلماء عن أعدائهم وعلى الصديق تراهمُ جهالا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقوله فيه : ( الديوان ص ٤١٤ )

لقيتم بالجزيرة خيل قيس ... فقلتم مار سرجس لا قتالا
تسوف التغلبية وهي سكرى ... قفا الخنزير تحسبه غزالا
من المتولجات على النشاوى ... ولا تلج الخدور ولا الحجالا
تظل الخمر تخلج أخدعيها ... وتشكو في قوائمها امذلالا
إذا انفتقت عباءتها وضافت ... رأى الراءون داهية عضالا
أليس أبو الأخيطل تغلبيا ... فبئس التغلبي أباً وخالا
إذا ما كان خالك تغلبيا ... فبادل إن وجدت له بدالا

وقوله يهجو التيم ( الديوان ص ٥٥ )

تيمية همتمى [1] تقول لبعلها ... لا تنظرن إذا وضعت ثيابي
وكأن عريتها إذا واجهتها ... جعلان مكتنفان فرخ غراب
أعرابكم عار على حضاركم ... والحاضرون خزاية الأعراب
قوم إذا حضر الملوك وفودهم ... نتفت شواربهم على الأبواب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقوله فيهم : ( الديوان ص ١٦٥ )

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ... ولا يستأمرون وهم شهود
وإنك لو لقيت عبيد تيم ... وتيما قلت أيهم العبيد

وقوله فيهم : ( الديوان ص ٤٣٨ )

كأن التيم إذ فخرت بسعد ... إماء الحي تفخر بالحمول [2]
ترى التيمي يزحف كالقرنبى ... إلى تيمية كعصا المليل [3]

---

(١) الهمتمى : الكثيرة الاختلاف التي لا تقر في بيتها .

(٢) اي كالإماء يفخرن بأحداج ساداتهن .

(٣) القرنبى : خنفس طويل القوائم . وعصا المليل : العصا التي يحرك بها ما يمل في النار .

إذا كشرت إليه يقول بلوى . بلا حسن كشرت ولا جميل
تشين الزعفران عروس تيم . وتمشي مشية الجُعَل الزحول
يقول المجتلون عروس تيم . شوَى أُمِّ الحُبَيْنِ (١) ورأس فيل

## الغزل

برع جرير بحلاوة الغزل كما برع بحرارة الهجاء ، يتجلى طبعه في نسيبه رقيقاً عذباً سمحاً سهلاً ، فهو من أنسب الشعراء الإسلاميين وأرقهم غزلاً ، وغزله بدوي عفيف بريء يمثل مروءة البداوة وصيانة الإسلام ، حتى قيل إن جريراً لم يتغزل إلا بأزواجه أو بمن يملك ، وهو يترجم عن عاطفة رقيقة ونفس حساسة بالرغم من قوله : « ما عشقت قط ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها » وأظهر ما في غزله الحنين والتشوق والشكوى والذكرى ويقل فيه المرح شروى قوله :

أزمان يدعونني الشيطان من غزلي . وكن يهوينني إذ كنتُ شيطانا

وقوله :

يقول العاذلات علاك شيبٌ . أهذا الشيب يمنعني مراحي

ولا تكاد تجد في غزله قصصاً أو ما في معناه من الوصف المتتالي ، وإنما هناك بدوات وأفكار متداعية تمثل عاطفة وثابة ولوعة تنتزى ، والمقطوعة من غزله تعرض على القارئ صوراً شتى من ذكرى تهيج إلى دمعة تجري إلى قلب يخفق إلى حنين يشجي ، تثيرها الدور الخالية والأطلال البالية والظعائن الراحلة والبروق المتألقة والحمائم المغردة ، ولا تجد غزلاً أرق ولا أعف من غزله . سمع الفرزدق بالمدينة قينة تغني بشعر جرير فقال : « ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه

(١) الشوى : اليدان والرجلان والأطراف . وأم الحبين : دويبة كالحرباء .

إلى صلابة شعري وأحوجني مع شهواتي الى رقة شعره (١)» والذي يرى عفافه في غزله يستغرب ذلك الإقذاع في هجائه .

والأمثلة على إحسانه في الغزل كثيرة نورد منها هذه الأبيات : (الديوان ص ٦٠١)

ألا أيها الوادي الذي ضَمَّ سيله ... إلينا نوى ظمياء حُيِّيتَ واديا
إذا ما أراد الحي أن يتفرقوا ... وحنَّتْ جمال الحي حنتْ جماليا
الى الله أشكو أن بالغور حاجةً ... وأخرى إذا أبصرت نجداً بداليا
نظرت برَهْبَى والظعائن باللوى ... فطارت برهبى شعبةٌ من فؤاديا
إذا ذُكِرتْ ليلى أُتيح ليَ الهوى ... على ما ترى من هجرتي واجتنابيا
ولو أنها شاءت شفتني بهيِّن ... وإن كان قد أعيا الطبيبَ المداويا
فإنكِ إن تعطي قليلاً فطالما ... منعتِ وحَلّأْتِ القلوب الصواديا
إذا اكتحلت عيني بعينك مسني ... بخيرٍ وجَلَّى غمرةً عن فؤاديا
تخطّى إلينا من بعيدٍ خيالها ... يخوض حُداريًّا من الليل داجيا
فحُيِّيتَ من سارٍ تكلف موهناً ... مزاراً على ذي حاجة متراخيا

## الرثاء

الشاعر المرهف الحس يحسن الرثاء فيمن يحب من قريب أو صديق ، وهكذا الشأن في مراثي جرير ، فما كان منها في أهله فجيد بارع ، وما سوى ذلك فليس له تلك المنزلة . ومما أجاد فيه وبرع وفاق جميع معاصريه من الشعراء رثاؤه لامرأته أم حزرة ، وقلَّ من الشعراء في جميع العصور من وفق في رثاء النساء كما وفق جرير في قصيدته هذه ، فقد كان فيها زوجاً أميناً رقيق العاطفة حسن الرعاية وافر المودة عميق الحزن شديد اللوعة ، وصف امرأته

(١) الأغاني ، ج ٨ ص ١٢ .

بأكرم ما توصف به الحرائر وبكاها بكاء مخلص في حبه مفجوع في حبيبه ومحبه ، حتى صارت تلك القصيدة مما يناح به على النساء في المآتم ، فقد روي أنه نيح بها على النوار امرأة الفرزدق . وكان جرير يسمي هذه القصيدة الجوساء لذهابها في البلاد . وهاك أبياتاً من أولها : (الديوان ص ١٩٩)

لولا الحياء لعادني استعبارُ ولزرتُ قبركِ والحبيبُ يُزارُ
ولقد نظرتُ وما تمتع نظرةٍ في اللحد حيث تمكن الحفار
فجزاكِ ربكِ في عشيرك نظرةً وسقى صداكِ مجلجلٌ مدرار
ولَّهْتِ قلبي إذ علتني كبرةٌ وذوو التمائم من بنيك صغار
ولقد أراك كسيتِ أجمل منظرٍ ومع الجمال سكينةٌ ووقار
صلى الملائكة الذين تُخُيِّرُوا والصالحون عليك والأبرار

وكذلك قصيدته التي يرثي بها ابنه سوادة والتي مطلعها :

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلت لهم من للعرين إذا فارقت أشبالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهي دمعة مصبوبة ولوعة مشبوبة وحزن ينطق . كان بشار بن برد ينشدها يوم فقد ولده ويقول : لله در جرير . أما مراثيه في غير أهله فأكثرها مقطعات لا تعرب عن نفس حزينة وإنما هي تقريظ وتفجع مصنوع .

## الفخر

أكثر شعر جرير في الهجاء ، والهجاء في القرن الأول لا يكاد يخلو من الفخر ، لأن الشاعر يرمي خصمه بكل نقيصة وينسب لنفسه وقبيلته كل مكرمة ، ولا تكاد تجد قصيدة في الهجاء لجرير إلا وجدت فيها فخراً مثل قوله يهجو الأخطل :

إن الذي حرم المكارم تغلباً جعل الخلافة والنبوة فينا
مضرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم يا خزر تغلب من أبٍ كأبينا

ولا يكاد جرير يفتخر بكليب لقلة مفاخرها بل يتخطاها الى يربوع وتميم فينوه بمفاخرهم والأيام التي كانت لهم وأخبارهم الحميدة في الجاهلية والاسلام . وهذا الفن من الشعر يصور عصبية العربي الى قبيلته التي ورثها عن الجاهلية ولم يستأصلها الاسلام . ولا ينسى جرير إلى جنب ذلك ان يفتخر بنفسه فينسب اليها الشجاعة والكرم والنجدة وطيب العنصر ، ولا سيما التفوق في الشعر والسبق في مضماره وكبت خصومه من الشعراء على كثرتهم . وقصائده التي صرفها للفخر خاصة قليلة ومنها مقطعات وأبيات وأراجيز . ولكن أكثر فخره في أهاجيه ، وهو لا يسامي الفرزدق في هذا الباب وإن فضّله بعضهم عليه في الفخر أيضاً مثل بشر بن مروان (١) .

## المدح

ليس المدح من أبواب شعر جرير البارعة إذا قيس بهجائه وغزله ، فقد كان يقوله مستجدياً ، ولا تكاد قصيدة من مدائحه تخلو من الاستجداء وشكوى الفاقة والإلحاح بالمسألة ، مثل قوله : (الديوان ص ١٥٦)

« لولا رجاؤك قد قتّلت أولادي »

وقوله : (الديوان ص ٣٥٤)

أشكو إليك فأشكني ذرية … لا يشبعون وأمهم لا تشبعُ
كثروا عليّ فما يموت كبيرهم … حتى الحساب ولا الصغير المرضع
وإذا نظرت يريبني من أمهم … عينٌ مهججةٌ (٢) وخدٌّ أسفع
وإذا تقسمت العيالُ غبوقها … كثر الأنينُ وفاض منها المدمع
رشني فقد دخلتْ عليَّ خصاصةٌ … مما جمعتَ وكلٌّ خير تجمع

(١) الأغاني ، ج ٨ ص ٣٧ .
(٢) أي عين غائرة .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

ولكنه لا يذهب عن فطنته تقريظ الممدوح بما ينبغي أن يمدح به ، فقد اتصل بالحجاج بن يوسف ومدحه بالقوة وشدة الشكيمة وقمع الفتن وإخماد النوائر وسعة السطوة وأن الله أمده بالملائكة واستجاب دعاءه . قال يمدح الحجاج ( الديوان ص ٩٠ )

من سدّ مُطَّلَعَ النفاق عليهم ... أم مَن يصول كصولة الحجّاج

أم من يغار على النساء حفيظةً ... إذ لا يثقن بغيرة الأزواج

إن ابن يوسف فاعلموا وتيقنوا ... ماضي البصيرة واضح المنهاج

ماضٍ على الغمرات يُمضي همَّهُ ... والليل مختلف الطرائق داج

منع الرُّشى وأراكمُ سبل الهدى ... واللصّ نكّله عن الإدلاج

فلما اتصل بعبد الملك بن مروان بشفاعة الحجاج مدحه مدحاً سياسياً ، فنال من عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب ، وجعل من يخالف بني أمية ملحداً أو مبتدعاً . قال في القصيدة التي يمدح بها عبد الملك وينال من ابن الزبير : ( الديوان ص ٩٩ )

دعوتَ الملحدين أبا خُبيب[1] ... جماحاً هل شُفيتَ من الجماح

ومنذ ذلك الحين علقت حباله بحبال بني أمية فمدح جميع الخلفاء الذين تتالوا بعد عبد الملك الى هشام ، كما مدح عدداً من أمراء بني أمية ، وكان يسمي الخليفة منهم بالمهدي ، قال في سليمان بن عبد الملك : ( الديوان ص ٤٦٢ )

سليمانُ المبارك قد علمتم ... هو المهدي قد وضح السبيلُ

وقال في أخيه هشام : ( الديوان ص ١٤٧ )

فقلتُ لها الخليفةُ غيرَ شكٍ ... هو المهدي والحكم الرشيدُ

وقال فيه أيضاً : ( الديوان ص ٥٠٥ )

الى المهدي نفزع إن فزعنا ... ونستسقي بغرته الغماما

---

(١) يريد بأبي خبيب عبد الله بن الزبير .

وكان يصرح بأن هواه السياسي مع بني أمية قال : ( الديوان ص ٥٠٦ )

وريشي منكمُ وهواي فيكم وإن كانت زيارتكم لماما

ويمدح الشاميين وسياستهم ، قال في القصيدة التي يمدح بها يزيد بن عبد الملك : ( الديوان ص ٣٩٠ )

تدعو فينصر أهل الشام إنهمُ قومٌ أطاعوا ولاة الحق وائتلفوا

ما في قلوبهم نكثٌ ولا مرضٌ إذا قذفتَ محلاً خالعاً قذفوا

قد جرب الناس قبل اليوم أنهمُ لا يفزعون إذا ما قعقع الحجف

ويعتذر عما فرط من قومه بني تميم في نصرة عبد الله بن الزبير ويشفع بهم لأنهم تابوا توبةً نصوحاً ، قال لهشام بن عبد الملك : ( الديوان ص ٥ )

لاتجفونَّ بني تميمٍ إنهم تابوا النصوحَ وراجعوا حسن الهدى

من كان يمرض قلبه من ريبةٍ خافوا عقابك وانتهى أهل النهى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبنوه ببلاء بني أميـة بالفتوح وسعة السلطان ، ولقد مدح طائفة من أمرائهم وولاتهم ، ولم يروَ عنه أنه مدح أحداً من خصومهم لأنه كان معروفاً بمداراة السلطان ، ولأنه كان يتكسب بمدحهم فلا يتورط فيما يغضبهم أو يقطع صلتهم عنه ، ومع أن الاستجداء أظهر ما يكون في مدحه فقد أشار الى فتوح بني أمية أكثر من جميع شعرائهم .

## بقية الأغراض

تلك أهم الأغراض التي عالجها جرير في شعره ، ولكل منها فروع تسوقها المناسبات ليس بالسهل استقصاؤها ؛ وهناك أغراض أخرى نظم بها جرير كالوصف والعتاب والشكوى والأدب والحكمة وبعض حوادثه الخاصة . وأهم ما يعنينـا أن نتكلم عنه في هذا الفصل هو الوصف .

إذا أردنا بالوصف الوصف الفني المتتالي المتسلسل الذي يصور الموصوف صورة واضحة لم نجد جريراً من السابقين في هذا الباب ، لأن شعر جرير في جملته بدوات ولمحات ، لا يصبر على الاستمرار في وصف ما يتناوله حتى ينتصف منه ، بل تتداعى أفكاره فينتقل من معنى الى آخر دون استقصاء ، ولا تكاد تجد له قصيدة أو مقطوعة صرفها لوصف شيء واحد ، وإنما كان يصف عرضاً وبالمناسبة على سبيل الاقتضاب ؛ وأكثر ما عالج وصفه البادية وعالمها من سهل وجبل ورمم وطلل وركب وإبل وسراب وواد ووحش وطير وشبح وقيصوم وغضا وما الى ذلك مما يتعلق بالبادية التي كان يقطعها في وفوده على الخلفاء بالشام .

وقد وصف ـ على طريقته التي ذكرناها ـ أسطولاً حربياً للحجاج في قصيدة مدحه بها قال : ( الديوان ص ٤٤١ )

سلكتَ لأهل البر براً فنلتهم ... وفي اليم يأتم السفينُ الجوافلُ
ترى كل مرزاب[١] يضمن بطونُها ... ثمانين ألفاً زايلتها المنازل
جفولٍ ترى المسمار فيها كأنه ... إذا اهتز جذعٌ من سُمَيْحة ذابل[٢]
إذا اعترك الكلأءُ والماء لم تُقَدْ ... بأمراسها حتى تثوب القنابل[٣]
تخال جبال الثلج لمّا ترفعتْ ... أجلتُها والكيدُ فيهن كامل[٤]
تشق حَباب الماء عن واسقاته ... وتغرس حوت البحر منها الكلاكل

وألمّ بشيء من وصف الرصافة التي كان ينزلها هشام بن عبد الملك وبما بذله هشام في إصلاحها وتزيينها قال : ( الديوان ص ١٥٠ )

---

(١) المرزاب : السفينة الضخمة .
(٢) المسمار : الدقل . وسميحة : بئر بالمدينة .
(٣) الكلاء : مجتمعها . يريد أنها لا تضبط إلا بأعوان كثيرة .
(٤) أجلتها : شرعها . والكيد : السلاح .

شققت من الفرات مباركات جواري قد بلغن كما تريد
وسخّرت الجبال وكنّ خُرساً يقطّع في مناكبها الحديد
بلغت من الهنيء[1] فقلت شكراً هناك وسُهِّل الجبلُ الصّلود
بها الزيتون في غَلَلٍ[2] ومالت عناقيد الكروم فهن سود
فتمت في الهنيء جنان دنيا فقال الحاسدون هي الخلود
يعضون الأنامل أن رأوها بساتيناً يوآزرها الحصيد
ومن أزواج فاكهةٍ ونخلٍ يكون بحمله طلعٌ نضيد

وقال أيضاً: (الديوان ص ٤)

إن الرصافة منزلٌ لخليفةٍ جمع المكارم والعزائم والتقى
أوتيت من جذب الفرات جوارياً منها الهنيء وسائحٌ في قرقرى
والمجد للزند الذي أوريتم بحرٌ يَمُدُّ عُبابُه جُوفَ القرى

ومن هذا الوصف يرى القارئ بداوة جرير في تناوله وصف الماء والشجر وإغفاله وصف قصور الرصافة العظيمة وبنيانها الفخم.

ولعل أصدق ما يقال في جرير أنه أطبع الشعراء الإسلاميين وأهجاهم ومن أرقهم نسيباً.

خليل مردم بك

---

(١) الهنيء والمريء: نهران بإزاء الرقة حفرهما هشام بن عبد الملك.
(٢) الغلل: الماء الجاري تحت الشجر على وجه الأرض.

# وصية

## لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
## الى ولده رحمة الله عليهما

استرعى نظري الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب ، في أثناء بحثه عن المخطوطات العربية في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ، الى رسالة لطيفة لابن قتيبة تقع في ثماني صفحات مثبتة في آخر مجموع مخطوط رقمه ١٧٠ ي ٢١ س ١٠ والمجموع يحتوي على (١) الصحيفة المعروفة بالغراء والصحيفة المعروفة بالرحمة والصحيفة المعروفة بالصفراء لادريس النبي عليه السلام منقولة ألفاظها من اليونانية الى العربية (٢) رسالة دواء داء القلوب ومعرفة همم النفس وآدابها وغير ذلك (٣) كتاب الشبهات (٤) وصية لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الى ولده . وذكر الناسخ في آخر كتاب الشبهات أنه فرغ من نسخه سنة ٤٨٦ هـ ، في ثغر الاسكندرية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورسالة ابن قتيبة كثيرة الثقوب ، قد أصاب العطب أطراف بعض صفحاتها فألصقت أوراق بيض عليها لصيانتها . وخط الناسخ فيها وفي سائر المجموع واحد . وهو خط مشرقي قاعدته مغربية . بيد أن خط الرسالة أدق . وعلى ذلك يكون تاريخ نسخها بعد وفاة ابن قتيبة بـ ٢١٠ سنوات . وطول الصفحة ١٨٫٥ سم . وعرضها ١٤ سم . وفي كل صفحة ٢٨ سطراً ، وفي كل سطر نحو ١٥ كلمة .

والرسالة فريدة لم يرد ذكرها في أي مصدر ـ حسب علمنا ـ ولعل السبب أنها كتبت قبيل وفاة صاحبها كما يذكر ، وانها تقع في بضع صفحات . فهي ليست كتاباً . على أنه لا شبهة في أنها لابن قتيبة نفسه . فالمباحث التي طرقها تتفق وآراءه في سائر كتبه ، وأسلوبه فيها يطابق أسلوبه في سائر مؤلفاته ،

لا سيما في تأويل مختلف الحديث ، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة . ويغلب على الظن أن ولده الذي كتب اليه هذه الوصية هو أحمد ابن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الذي روى كتب أبيه كلها بمصر حفظاً ، بعد أن قدمها على القضاء سنة ٣٢١ هـ . وتوفي فيها سنة ٣٢٢ هـ .

ويسعدنا حقاً أن نظفر بهذا الأثر النفيس الفريد لإمام من أئمة الأدب والفقه في القرن الثالث الهجري . وقد طبع بعد تأليف كتابنا عنه بالانجليزية [١] (من منشورات الجامعة الأميركية في بيروت رقم ٢١ سنة ١٩٥٠) كتاب الأشربة بتحقيق المرحوم محمد كرد علي سنة ١٩٤٧ ، وكتاب المعاني الكبير في ثلاثة أجزاء ضمن منشورات مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن (الهند) سنة ١٩٤٩ . وبلغنا ان الأستاذ السيد صقر يحقق كتابين من كتبه هما مشكل القرآن وغريب القرآن . ويبقى من كتبه المخطوطة : الانواء ، وتأويل الرؤيا ، وغريب الحديث ، وكتاب العرب المعروف بالرد على الشعوبية (انظر كتابنا بالانجليزية ص ٥٠ و٥٣) .

وقد أثبتنا الرسالة كما هي ، واجتهدنا في ملء الفراغ الناجم عن الثقوب . وهي في جملتها تامة ، وان كنا نظن ان الناسخ أغفل سطراً أو سطرين في مكان واحد فقط عند كلامه على أوجه الايمان الثلاثة .

وأشكر للأستاذ عبد المطلب إرشادي الى هذا المخطوط النادر ومساعدتي في نسخه . وهو في الحق يبذل جهداً محموداً في البحث عن المخطوطات العربية وتصوير النادر منها لقسم المخطوطات في اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية . والله يجزل ثوابه ويتولى مسعاه بالتوفيق .

(الجامعة الأميركية) اسحق موسى الحسيني

(١) نقله الى العربية الأستاذ هاشم عبد الوهاب ياغي وستنشره دار بيروت للطباعة والنشر قريباً .

## وصية لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الى ولده رحمة الله عليهما

بسم الله الرحمن الرحيم . يا بني أوصيك بوصية ان تمسكت بها رجوتُ لك النجاة ، وان استعملت ما فيها سُعدت ان شاء الله . واعلم يا بني ان أساس الدين كله التقوى والعاقبة لمن اتقى « والآخرة عند ربك للمتقين » (١) « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (٢) « ومن يتق الله يُكفّر عنه سيئاته ويُعظم له أجراً » (٣) . وأصل الدين التقوى الذي مدار الأمور كلها عليه ، وهو قول لا إله الا الله لقوله عز وجل : « وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها » (٤) . فمن قام بحقوقها وشروطها وأدّى ما عليه فيها حتى يستكملها فهو من أهلها (بإذن) (٥) الله ، لأن الله عز وجل يقول : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكةُ ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة » (٦) .

يا بني ألزم التقوى قلبك والعمل الصالح جوارحك فان الله عز وجل يقول : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خير » (٧) . فقد جمع الله عز وجل الخير كله في التقوى والعمل الصالح في قوله عز وجل « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » (٨) . فمن اعتصم بقول لا إله إلا الله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها . ومن يعتصم بالله فقد هُدي الى صراط مستقيم .

(١) الزخرف ٣٥ . (٢) الطلاق ٢ و ٣ . (٣) الطلاق ٦ .
(٤) الفتح ٢٦ . (٥) الكلمة مطموسة في الأصل ولعلها باذن .
(٦) فصلت ٣٠ و ٣١ . (٧) التوبة ١٠٩ . (٨) فاطر ١٠ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

واعلم أن التقوى أصل كل طاعة واجتناب كل معصية ، وسبب ذلك كله العصمة والتوفيق ، وان من التوفيق أن يتقي العبدُ كل ما نهاه الله عنه ورسوله في السر والعلانية لقول الله عز وجل : «وذروا ظاهر الاثم وباطنه» [1] . والانسان عريان ولباسه التقوى فمن استتر بغير التقوى لم يستره شيء وتكشفت عورته لقول الله عز وجل : «يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خيرٌ ذلك من آيات الله» [2] .

يا بني التقوى أصل كل طاعة وهو اخلاص العمل لله ، وفرع التقوى اليقين ، فضع أساسك عليه يَعْلُ بنيانك ويقو إيمانك ويزدد يقينك .

يا بني اتق الله وَنَمْ حيث شئت ، فان من اتقى الله في الأصل والفرع وما بين ذلك فقد فاز فوزاً عظيماً . واجعل التقوى زادك فان خير الزاد التقوى .

والتقوى اسم . وهو كلمة الاخلاص . والمتقي العبد الذي يتقي الكفر والشرك والنفاق وجميع العصيان حتى يخلص عبادته للرحمن . واتق الأهواء المضلة وجميع الحوادث في الدين واتبع السنة واقتد بالسلف وتمسك بالكتاب فان الله عز وجل يقول : «فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول» [3] يعني سنة رسوله صلى الله عليه . ولا دين إلا دين محمد ولا سنّة إلا سنة محمد عليه السلام .

يا بني قد جمعت لك السنة بحرفين فتمسك بها واعتمد عليها «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا .» [4] ومع هذا فقد بينت لك شروطها وما يلزمك فيها . ومن السنة أن تقدم من قدم الله ورسوله ـ وخير هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر رضوان الله عليه ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ـ وتترحم على أصحاب النبي

(١) الأنعام ١٢٠ .
(٢) الأعراف ٢٦ .
(٣) النساء ٥٩ .
(٤) الحشر ٧ .

صلى الله عليه وسلم ، لأن الله عز وجل يقول : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا » (١) واترك النظر فيما شجر بينهم لقول الله عز وجل : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » (٢) .

ومن السنة الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وان الخير والشر من الله ابتلى به عباده لقوله عز وجل : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون » (٣) واعلم انه لا يكون في الأرض ولا في السماء إلا ما شاء الله وان الأمور كلها بيد الله وفي ( قبضته ) (٤) ولا ضار ولا نافع غير الله . وسبب كل طاعة التوفيق من الله . وترك كل معصية ( التوفيق ) (٥) من الله . ولا يقدر أحد يعصي إلا بعد ترك الله . ولا عذر لأحد عند المعصية غير الاعتذار الى الله مع الندم والتوبة الى الله . وأصل التوبة رحمة من الله فتح الله تعالى لآدم ( بابها ) (٦) وعم بها ذريته . والتوبة على العباد فريضة من الله لقوله عز وجل : « وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (٧) وقوله عز وجل : « ثم تاب عليهم ليتوبوا » (٨) وباب التوبة ( مفتوح ) (٩) الى يوم القيامة . وتوبة العباد من توبة الله عز وجل لهم . والله يتوب على من يشاء من عباده . ولا تصح التوبة لأحد إلا بتوبة الله له فطوبى لمن رزقه الله التوبة وألهمه شكر النعمة .

واحذر يا بني أن تعصي الله وتعتل بالقضاء والقدر لأن المعصية مصيبة في دين العبد وإن جرت عليه بالقضاء والقدر . والذنب لازم له . والعبد مستعبد ان يقول

(١) الحشر ١٠ .
(٢) البقرة ١٣٥ .
(٣) الأنبياء ٣٥ .
(٤) نصف الكلمة مطموس في الأصل .
(٥) الكلمة مطموسة في الأصل .
(٦) الكلمة مطموسة في الأصل .
(٧) النور ٣١ .
(٨) التوبة ١١٨ .
(٩) الكلمة مطموسة في الأصل .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ربي اني ظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وتب عليّ انك أنت التواب الرحيم . ومن أخرج ذنبه من القدر فقد أشرك لأنه زعم انه قدر على الذنب بغير قدر ، ومن لم يؤمن بالقدر فقد كفر ، ومن أحال دينه على القدر ليعذر نفسه بالقدر فقد فجر ، ومن ادعى أن الاستطاعة والقدر والمشيئة اليه مع الله أو دون الله أو ملكه لله أو جعل الله أمر ذلك اليه دونه فقد أشرك نفسه مع الله . والشرك ظلم عظيم . لأن الله عز وجل يقول : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » [١] فويل لمن لا يؤمن بالقدر أو يرى انه قادر ، لأن القدر من صفات الله لا صفات الخلق . ومن صفات الخلق الضعف والجزع والعجز . وكل من أضاف صفاته الى صفات الله فقد أشرك ، لأن الله عز وجل بان بصفاته عن صفات خلقه ، وثبت صفاته لنفسه ، وان الله تعالى أمر العباد أن يعبدوه باخلاص الوحدانية بقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأعجزهم عن أنفسهم عن إخلاص الوحدانية ولم يعنهم عما أمرهم به ولم يقصرهم عليه واضطرهم في ذلك اليه بطلب المعونة والعصمة والتوفيق منه مع إظهار الفقر اليه والفاقة والمسكنة والاستعانة اليه حتى يتولى ذلك منهم لقوله عز وجل : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ، ولكن الله يزكي من يشاء » [٢] . فلا يزكى أحد من العباد وان بذلوا مجهودهم وطاقتهم إلا من زكاه الله عز وجل بحوله وقوته . وان الله عز وجل نهى العباد عن أمر ولم يحل بينهم وبينه وأعجزهم عنه ولم يضطرهم اليه ليكون له الحجة عليهم .

يا بني فابرأ الى الله عز وجل من حولك وقوتك واستطاعتك واسأله أن ينقلك بحوله وقوته مما يكره الى ما يحب ويرضى .

(١) النساء ٤٨ و ١١٦ . (٢) النور ٢١ .

يا بني إن الله عز وجل ركب في أنفس بني آدم خصلتين ، وهما من أعظم البلاء عليهم ، الهوى والشهوة . وركب فيهم الحرص وطول الأمل وأعظم من ذلك كله الشرك الخفي اذا عمل عملاً لله يريد أن يحمد عليه . وأدنى الشرك الرياء ، ورياء الأعمال كلها من الشرك الخفي . وان من السنة التبري من القدرية والمرجئة الذين يقولون الايمان قول والعمل شرائعه ، ويقولون من قال لا إله إلا الله مصدقاً به قلبه فهو مؤمن حقاً وان أتى الكبائر والفواحش . ويقولون ان ايمان الملائكة والأنبياء وسائر الخلق كلهم واحد لا يزيد ولا ينقص .

واعلم يا بني ان الايمان قول وعمل ونية وموافقة السنة . والشرائع كلها من الايمان . والايمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . والايمان إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأبدان . والايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل . والايمان يتصرف على ثلاثة أوجه ، الايمان من الله كله [1] شهادة الله لنفسه بالوحدانية وهو قوله عز وجل « شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة » [2] فهو الذي يزيد ولا ينقص [3] لأنه من الله لله وايمان الخلق بعدها وهو [4] يزيد وينقص بالطاعة . ومن قول أهل السنة أن يحمدوا الله عز وجل على جملة الايمان لأن الله عز وجل هداهم للايمان ويستثنون في الحقيقة إشفاقاً على الإيمان وإذا تحقق بالايمان ( لحقهم الاشفاق وكل ما لم يحقق بالايمان ) [5] فهو على النقصان من الاشفاق ، والاشفاق وقع على الصحة والنقصان على العلة ، والاشفاق للعبد يقين ، وسائر الناس في نقصان من المجتهدين والباقي هم من الجهال الغافلين . واعلم ان العبد اذا جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل وبذل مجهوده لله على قدر طاقته واستغفر الله عز وجل من النقصان والتقصير الذي يدخل عليه فقد أدى لله ما يجب لله عليه في حق العبودية .

(١) هكذا في الأصل ولعلها لله . (٢) آل عمران ١٧ .
(٣) هكذا في الأصل ولعل العبارة لا يزيد ولا ينقص .
(٤) في الأصل ولا . (٥) زيادة في الهامش .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن السنة أن يعلم أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق في جميع ما قرئ وتلي ووعي ، منه نزل واليه يعود . ومن السنة صلاة الجمعة والعيدين والحج والجهاد مع كل امام براً كان أو فاجراً ولزوم الجماعة والصبر تحت لواء السلطان على ما يكون فيه من عدل أو جور مالم يدع الى بدعة أو بترك سُنّة أو بنقض شريعة ، ودفع الصدقات اليهم ، والمحافظة على صلاة الجماعة من السنة المذكورة ، وتركها من غير عذر ضلالة ، وأشياء كثيرة قد بينتها لك في غير هذا الكتاب فتمسك بها .

واعلم يا بني أن أصول البدع كلها من خمسة : من القدرية والمرجئة والجهمية والرافضة والخوارج . ومنها تتشعب الفرق كلها حتى تنتهي الى ثلاث وسبعين فرقة الذي [1] جاء به الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، اثنتان وسبعون منها هالكة ، والواحدة منها ناجية الذي أنا عليه وأصحابي » . والجهمية الذين يقولون ان القرآن مخلوق ويؤمنون بالقدر ويقولون ان الله عز وجل حال في كل شيء كالشيء في الشيء وكالروح في الجسد والخوارج هم الذين يقولون بتقديم الشيخين أبي بكر وعمر ويرون إمامتهما ويتبرءون من عثمان وعلي . وقد بينتهم وسميت أئمتهم في هذا الكتاب .

واعلم أن العلم علمان : علم باللسان فذلك حجة الله عز وجل على خلقه ، وعلم بالقلب فذلك العلم النافع وهو التقوى والخوف والوجل والاشفاق من علم الله تعالى والخشية من الله ، وكفى بخشية الله علماً : « ومن يخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » [2] وليس لمريد العلم غاية ولا نهاية . والمعرفة معرفتان : معرفة إلهية وهي الاقرار بالربوبية . وهي مع كل ذي روح خلق الله . وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وهي وديعة الله فيهم وحجته عليهم . والثانية معرفة التوحيد الذي استعبد الله عز وجل عباده بها . وهي معرفة الديانة لله . والذي

(١) لعلها للذي . (٢) الأعراف ٢٣ .

عرّف محمد صلى الله عليه وسلم بمعرفة الإلهية عرّف الله عز وجل العباد نفسه وهي الفطرة . والمعارف كثيرة . وكل إنسان له مقام من المعرفة على قدر قسمه منه . والذكر ذكران : فذكر باللسان وذكر بالقلب . والأفكار كثيرة . وكل طاعة لله فهي ذكر ، ومن أطاع الله فقد ذكر الله .

يا بني أنت ولدي وقرة عيني وحقك واجب علي ببذل النصيحة لك ، وقد أصّلتُ لك أصلك ، وأسست لك أساساً ان استقمت عليه فقد اهتديت وهديت الى صراط مستقيم ، وبالله اهتديت . « وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . »[(1)]

يا بني قد صحبت لك طوائف من الناس وبلوت أخبارهم فما رأيت طائفة أجل وأعظم قدراً من أهل الفقر الى الله عز وجل والفاقة والمسكنة الى الله عز وجل ، فالزمهم وجالسهم واخدمهم بنفسك وتواضع لهم بجسمك وتقرب الى الله عز وجل بالنظر اليهم ، وواسهم بما قدرت عليه ، وتغافل عن زلاتهم ، وأحسن ظنك بهم ، فان الله عز وجل يؤيدهم إذا ماتوا إن شاء الله .

يا بني إن استطعت أن تخالط الناس كلهم بخلق حسن تخالطهم ، وان لم تقدر فجانبهم وفارقهم على السلامة ، وخالص أولياء الله مخالصة ، وخالف أبناء الدنيا مخالفة ، وباينهم بالأعمال مباينة ، ولا تعير أحداً بذنب فتبتلي به ، ويشغلك ما تعلم من نفسك عن الاشتغال بغيرك ، واسع في صلاح قلبك يكفك الله شر نفسك .

يا بني اعمر قلبك بذكر الله عز وجل ، وجوارحك بطاعة الله ، وكف أذاك عن الناس تسلم لك حسناتك يوم القيامة من المظالم والقصاص . وإن أردت أن تكون أكرم الناس فتوكل على الله . وإن أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما عند الله أوثق منك بما عندك .

---

(١) الأعراف ، ٢٣ .

يا بني ان الدنيا دار غرور ، وقد اغتر بها الأولون وستغتر الباقين إلا من عصمه الله ، وقليل ما هم ، فتزوّد منها لمعادك ، وارض من الدنيا بما قسم الله لك ، ولا تغفل عن أيامك فتقع بك الحسرة والندامة عند الموت . وبادر الأوقات قبل فوتها من قبل أن يحال بينك وبينها ، واعلم ان الله عز وجل جعل الدنيا قنطرة الآخرة ، فاعبرها ولا تعمرها ، ولا تغتر بزينتها . واعلم أن متاع الدنيا قليل ، وانظر الى عاقبة أمرها في آخرها حتى لا تغتر بأولها .

يا بني من عقل عن الله سارع الى الخيرات وعمل في الباقيات الصالحات . واعلم أن الناس خلقوا للآخرة وابتلوا بالدنيا فهم سكان الدنيا أبناء الآخرة ، ينقلون بالموت من دار الى دار ، فاتعب نفسك في طاعة الله عز وجل قليلاً تنعم في دار الآخرة طويلا .

يا بني انه كان من وصية يعقوب لولده بنيامين : يا بني لا تتبع هواك فتفارق ايمانك ولا تسيء الظن بالله فيحجب دعاؤك عن الله . ولا تتكلم بما لا يعنيك فتسقط من عين الله . ولا تظلم أحداً من خلق الله فان الجنة لم تخلق للظالمين .

يا بني لا يكن شيء آثر عندك من الله ، وتحبب الى الله عز وجل بمخالفة نفسك لله يحبك الله ويحببك الى عباده ، ولا تتعب نفسك فيما تكفل الله لك به من الرزق المضمون ، واشتغل بالعمل المفروض . واعلم أنه لا عدو لك أعدى من نفسك فعاد نفسك برضا ربك .

يا بني أرض الخلق برضاء الله ، فان رضوا عنك فذلك من الله الذي أرضاهم لك ، وان لم يكن رضاء الله إلا بسخطهم فأسخطهم ولا تبال من سخط منهم عليك ، واقبل على شأنك ، وكن عارفاً بأهل زمانك ، وأحسن جوار من جاورك ، وعشرة من عاشرك ، وصحبة من صاحبك ، وعليك بمجالسة الفقراء أهل الفقر والفاقة والمسكنة الى الله واخدمهم بنفسك . وتحبب الى الله عز وجل في المحبة لهم وابذل لهم مالك وجاهك ، وتبرك بدعائهم ، ودم على صحبتهم ، فان

لهم يوم القيامة دولة ، وعند الله تعالى شفاعة ؛ وجانب الأغنياء المترفين الذين يتزينون بعمل الآخرة . واحذر مجالس علماء السوء الذين يتزينون بالعلم ويأكلون الدنيا أكلاً ، وان من شرار العلماء الذين يزورون السلاطين ويتصنعون لأبناء الدنيا لينالوا من دنياهم شيئاً . واعلم أن الزاهد من زهد في أموال الناس ، وبذل ماله ابتغاء مرضاة الله ، وقنع باليسير من الدنيا . والفقير الصادق من كتم فقره عن الناس ، ولم يشك ما به الى أحد من المخلوقين ، وقطع أسباب الطمع عن نفسه ، وصبر عند عدم الأشياء حتى يكون الله عز وجل موضع فرجه .

يا بني لا تطلب الدنيا لتستغني بها ، فانه ليس في الدنيا ما يغني العباد غير القناعة والبلغة منها .

يا بني خف الله خوفاً لا يكون شيء أخوف له منك ، وارج الله رجاء لا يكون أحد أرجى له منك ، وأحب الله حب من خالط لحمه ودمه وعروقه وشعره وبشره من فرقه الى قدمه ، وتوكل على الله تكف ، وثق بالله تقنع ؛ واذا أصابتك شدة أو نائبة أو مصيبة فتعز بثواب الله واصبر على بلاء الله وارض بقضاء الله تكن مؤمناً تستحق من الله حسن ولايته .

يا بني اذا أقبلت عليك الدنيا فلا تفرح لها ، واحذر أن تكون وبالاً عليك ، واذا أدبرت عنك فلا تحزن عليها رجاء أن يكون لك عند الله منزل ؛ وخذ من الدنيا ما ينفعك ودع منها ما يضرك ، ولا تستكثر منها فيطول حسابك ، فان السلامة منها ترك ما فيها ، وان أقبلت عليك الدنيا وأنت زاهد فيها لم يضرك وان أدبرت عنك وأنت راغب فيها أضرت بدينك ، فخذ منها القوت ، وقدم الفضل منها لنفسك ؛ ولا تكثر الضحك والمزاح فان كثرتهما تميت القلب وتذهب بنور الوجه ؛ وجالس العلماء ؛ واستمع كلام الحكماء يحيي قلبك بنور

الحكمة وتزدد في كل يوم علماً وفهماً ؛ واستشر في أمرك الذين يخشون الله ؛ واعرض حالك على العلم ، فان رأيت العلم يحمد حالك فذاك نعمة من الله عز وجل ؛ وازدد شكراً تزدد من الله قرباً . ومن شكر الله عز وجل استحق المزيد من الله ، ومن استغفر الله استوجب الغفران من الله . ومن نسي الله غفل عن أمر الله .

يا بني أنا راغب الى الله في مسألتي له أن يجعلك خلفاً من بعدي تخلفني في علمي ومذهبي . وقد أملت ذلك من الله أن يجري الله منافع الخير على يدك ، ويكون ذلك مسريعاً ان شاء الله .

يا بني إذا لقيت أحداً من اخواني واصحابي فأقرهم مني السلام وأخبرهم عني بالله عز وجل ، قال : « أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا » (١) . « فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » (٢) . واعلم أن الله عز وجل بنى داراً لمن لا دار له يجمع فيها من لا فعل له . فلا تتعب نفسك وقلبك في شيء يصير مهناه لغيرك وحسابه عليك ، فاطلب من الدنيا الكفاف وتزود منها للمعاد . واعلم انك ميت لا محالة ، فكن من الموت على يقين ، ولا تطل أملك في الدنيا ، فانه ليس فيها ما يغني عن الفقر والرضى ، فاسأل الله عز وجل القنوع والرضا ، ولا تبسط يدك كل البسط ولا تقبضها كل القبض ، ولتكن بين ذلك قواماً . واقصد في معيشتك واحذر الاسراف والتبذير ، فان من علامة فقه الرجل القصد في المعيشة .

يا بني من ترك الدنيا زاهداً فيها أقبلت عليه الآخرة ، أتته الدنيا راغمة . ومن كانت الدنيا همه قلت عن الآخرة رغبته . وكل من أعطي من الدنيا شهوة

---

(١) القصص ٦١ . (٢) لقمان ٣٣ .

يحال بينه وبين أمنيته من الآخرة واعلم ان الدنيا حلوة خضرة ، والآخرة مرة كريهة ، فمن صبر على مكاره الدنيا وصل الى نعيم الآخرة .

يا بني لا تسل الناس شيئاً واستغن عنهم بغنى الله ، ولا تطمع بأحد غير الله وإن أصابتك شدة فاستعد لها الصبر ، فان الفرج كله مع الصبر ، ولا تشك ما بك إلا إلى الله عز وجل ، واكتم حالك في نفسك جهدك ، فان قل صبرك فاشك ما بك إلى إخوانك وخاصة أصحابك .

يا بني إن أباك قد عزى نفسه عند إخوانه وأصحابه بأنه أيقن بالرحيل فهو يتوقع الأمر صباحاً ومساء فمز نفسك فان الله عز وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم «إنك ميت وإنهم ميتون»[1] ، فاستعد للقاء وتزود للرحيل ، ولا تغتر بالبقاء إذ كان آخر الدنيا الى فناء وكل ما فيها الى زوال . واعلم أن الدنيا بحر عميق لا غور لها قد غرق فيها الماضون وسيغرق الباقون فان استطعت أن تخطو الدنيا الى الآخرة خطوة واحدة فافعل ، وإن كانت عليك فيها مشقة . ان العامل[2] اللبيب من قدم دنياه لآخرته ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، وخالف نفسه ولم يتبع هواها .

يا بني ان أردت أن يرفع الله قدرك ويعلو في الملكوت ذكرك ويحبك الله ويُحبِّبك الى عباده فعليك بلين الكلام وإفشاء السلام وخفض الجناح لمن اتبعك من المؤمنين ، واجهد نفسك الى أن تحسن الى كل من أساء اليك ، واعفُ عمن ظلمك ، وكن كهفاً لمن التجأ اليك ، وخالق الناس بخلق حسن . ولا تعبس وجهك فيغلظ كلامك ؛ وان اعتراك الغضب فاذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل ، وراقب الله جل ثناؤه حق مراقبته ، واستحي من الله كل الحياء .

(١) الزمر ٣٠ .
(٢) هكذا في الأصل ومن الجائز أن تكون العاقل .

واعلم أنه معك يسمع ويرى فالزم قلبك علم هذا ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان» .

يا بني اذكر الله يذكرك ، وتقرب (الى) [1] الله يقربك ، وتحبب الى الله يحبك . واذا شرع لك أمران ، أمر دنياك وأمر آخرتك ، فآثر أمر آخرتك على أمر دنياك ، وقدم أمر الله في كل حال واعلم أنه من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه في دنياه وآخرته . احفظ الله يحفظك معناه احفظ سريرتك يحفظ الله لك علانيتك . من أصلح سريرته أصلح الله له علانيته . ومن أصلح بينه وبين الله أصلح الله بينه وبين الناس . وتعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة معناه اشكر الله في الرخاء لا ينسك في الشدة .

واعلم يا بني أن الله عز وجل على لسان كل قائل فاعرض كلامه على قلبك ، فما كان لله فيه رضى فتكلم ، وما كان للنفس فيه هوى فاصمت ، وان كان حقاً . واذا تكلمت فتكلم لله ، واذا سكت فاسكت لله ، واذا أعطيت فأعط لله ، واذا أمسكت فأمسك لله . واجعل حركاتك وسكونك كلها لله ، حتى تكون عند الله عبداً خالصاً مستخلصاً من الأهواء كلها . واحذر مجالسة كل غني أبطره غناه ، ولا تمدن عينيك الى زينة المترفين في أموالهم ، فربما ذهب بشعاع أبصار القلوب . وإياك والخلوة بالنساء والأحداث فان الشيطان يزين للعبد في نفسه الفاحشة بالمحادثة لهم والنظر اليهم حتى يوقعه فيها . واحذر المراء والجدال والخصومات في الدين ، فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه . وقال جل ثناؤه : «ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا» [2] . واعلم أن الدين نصيحة والمجالس بالأمانة . وعلينا النصيحة وقبول الحق لمن أوضح الله حجته ووفقه لإصابة الحق . ومن لم ينتفع بقليل الحكمة ضره كثيرها . ومن

(١) زيادة منا يقتضيها المقام . (٢) غافر ٤ .

عمل بقليل العلم أدّاه قليل العلم الى كثيره . وخير العلم ما نفع . وأعوذ بالله من علم لا ينفع . وانما يراد من العلم العمل . ومن عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم . وانما نزل العلم والقرآن من عند الله ليعمل به ، فاتخذوه لباس رياسة وضيعوا العمل به فصار حجة عليهم لأنهم حفظوا حروفه وضيعوا حدوده ، وتزينوا به عند العامة وأكلوا به الدنيا ، فاستعذ بالله من فتنة العلماء ومن منافقي القراء ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها» وقال صلى الله عليه وسلم : «يكون قوم من أمتي في آخر الزمان مساجدهم منهم عامرة وقلوبهم من الهدى خربة ، علماؤهم شرّ من تحت أديم السماء ، منهم بدت الفتنة وفيهم تعود» . واعلم أن الله عز وجل جعل الخير في قليل من الناس لا في كثير لقوله عز وجل : «وقليل من عبادي الشكور» [1] ، وقوله عز وجل : «وقليل ما هم» [2] ، و «قليلاً ما تذكرون» [3] ، «وما آمن معه إلا قليل» [4] وما قل وكفى خير مما كثر وألهى . والله عز وجل يقول : «من رضي مني بقليل من الرزق رضيت منه بقليل من العمل» فأقلّ من الطعام والشراب والنوم ؛ واقلل من الكلام فيما لا يعنيك . وليكن كلامك حكمة ، ونظرك اعتباراً ، وصمتك تفكراً . فان الله عز ذكره لم يخلق هذا الخلق عبثاً ، ولم يتركهم سدى ولم يهملهم كلهم همجاً . وخير العلماء الحكماء الرحماء الحلماء ثم المتمسكون بعلمهم والمتبعون لآثارهم والباقي همج لا خير فيه . وعليك بالجوع والزهادة ، فان لله عز وجل عباداً لهم درجات عند الله لا ينالونها [5] إلا بذلك ، وفي الدنيا يعطيهم الحكمة . ولم أر شيئاً مما يستعمله المبتلى ببطنه وفرجه أنفع له من الجوع والعطش والخوف من الله ، وان ينصب الموت بين عينيه ، ويذكر

(١) سبأ ١٣ . (٢) ص ٣٤ . (٣) الأعراف ٣ .
(٤) هود ٤٠ . (٥) في الأصل ينالوها .

وقوفه بين يدي الله عز وجل خائفاً ذليلاً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . وأكثر آفة الناس من البطن والفرج وهما الأجوفان ، فطوبى لمن عصمه الله عز وجل من بطنه وفرجه .

يا بني ارحم الأغنياء لقلة شكرهم ، وارحم الفقراء لقلة صبرهم ، وارحم الغافلين لكثرة غفلتهم واغترارهم بالدنيا ، كل من عليها مرحوم من الجن والانس والطير والدواب والسباع والأنعام مبتلى بعضهم ببعض ومسلط بعضهم على بعض . وأعظم البلاء لبني آدم لأنهم مأمورون منهيون ، والبهائم وغيرها من الدواب مصابون بسبب بني آدم وليس لهم عقوبة ولا لهم ثواب ، ولا عليهم عقاب في الآخرة ، حكم الله جار عليهم في الدنيا وما الله بظلام للعبيد .

يا بني احذر من الناس من يخدعك بالله ويجرك الى نفسه ليستأصلك ويستخدمك وهم العلماء السوء الذين يحتالون على الدنيا بالدين ويأكلون أموال الناس بالباطل فانهم شرار الناس في كل زمان . واعلم أنك إن أطعت الله عز وجل بالصدق والاخلاص أطاعك كل شيء وهابك الفجار وعلتك السكينة والوقار وأثبت في ديوان الأخيار .

يا بني أحسن جوار نعم الله عليك بالشكر له . فما زالت نعمة عن قوم فكادت أن ترجع اليهم مسرعاً .

يا بني طب عن الأمة نفساً وارض بالرحمن أنساً ، فما عليها أحد يعدل في الخبرة فلساً .

يا بني وفقنا الله وإياك لمحابه وجميل مواهبه وجعلك أهلاً للموعظة ونفعك بها .

تمت الوصية لابن قتيبة رحمة الله عليه وصلى الله على النبي محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# في إعجاز القرآن (١)

... وبعد فما زال هذا القرآن المجيد ، الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » آية باقية على وجه الدهر ، وقد أولع العلماء به بحثاً ودرساً ، فعنوا بتدوينه وجمعه ، ومكيه ومدنيه ، وترتيبه وترتيله واختلاف مرسومه ، ومعنى أحرفه السبعة وطرق أدائه ، ووصف قراءاته السبع وقرائه ، وبيان الحق في ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وبأقسامه وأمثاله ، وفواتح سوره وخواتيمها ، وما في قصصه من عظات وعبر ، وكون إعجازه بلغته ، وتعذر ترجمته الحرفية ( لا التفسيرية ) .

ولكنّ أعلى هذه المباحث خطراً ، وأجلها قدراً ، وأبقاها أثراً ، ذكر خصائصه ومزاياه التي كان بها وحياً معجزاً ، فقد أُلفت في إعجازه كتب مستقلة ، وبحثت مباحثه في المصنفات الكلامية والبلاغية ، بله ما فسر به المفسرون ما جاء في آية الاسراء ٨٨ : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » وفي سورة يونس ٣٨ : « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » وفي هود ١٣ : « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

وقد نزلت هذه السور الثلاث بمكة متتابعات كما رواه رواة المأثور ، وفي رواية عن ابن عباس أن سورة يونس مدنية ، والراجح الأول ، لأن أسلوبها

(١) مقدمة للمقالات المتسلسلة في إعجاز القرآن للأستاذ نعيم الحمصي التي نشرتها المجلة في المجلدات : ( ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ ) .



ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكي ، وجاء في سورة البقرة المدنية : « فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » ٢٣ .

وقد توالت الأزمان ، والقرآن يتحدى أهلها بالإتيان بقرآن مثله في جملته ، أو بعشر سور تضاهيه في بعض أنواع إعجازه ، بل بسورة واحدة أيضاً تماثله بلفظه ونظمه وأسلوبه ، وهدايته وتأثيره وعلومه ، وقد تبين بعد طول هذا التحدي بأنه كتاب الله المنزل ووحيه المعجز ؛ لكنّ ما ألفه أمراء البيان يوقف على مواضع من حقيقة القرآن ومجازه ، ويجلي للناظر مطالع من إيجازه وإعجازه ، وإن كان هذا الوحي المعجز كالكهرباء وضيائها تستنير بنوره الأبصار ، ولا تحيط بكنهه الأفكار ، أو هو :

كالبدر من حيث التفتّ وجدته يهدي الى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

هذا ويودُّ كل باحث في أسرار القرآن ومقاصده أن لو جمع ما دوّنه البلغاء في كنه هذا الإعجاز على تراخي العصور ، واتساع دائرة العلوم ، فانتدب لهذا الأستاذ نعيم الحمصي ، فلخص ما سطرته الأقلام ، مما جادت به القرائح والأفهام ، وجمعها في كتاب واحد سماه ( تاريخ فكرة إعجاز القرآن ) من بعد ما نشره مقالات في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، بادئاً بتاريخ استعمال كلمتي : معجزة وإعجاز ، مفسراً لها لغة واصطلاحاً ، مشيراً الى أنها بمعنى ما ورد في القرآن من الآية والبرهان والسلطان ، ذاكراً أول كتاب عُنون باسم : ( إعجاز القرآن ) في أواخر القرن الثالث أو مطلع القرن الرابع ، وكتب تحت عنوان ( المعركة الفكرية الكلامية بين القرآن والعرب ) صفحات كثيرة ( مج ٢٧ ص ٢٤٣ — ٢٦٣ ) ضمنها محاجة الرسول لقومه بهذه المعجزة العظمى ، وما كان من إنكارهم لها ، واستكبارهم عن الإيمان بها ، وعجزهم عن الإتيان بمثلها ، ووضعهم

السيف والسنان مكان الحجة والبرهان . وهنا يظهر استقلال المؤلف عن جمهرة القائلين بأن العصر الجاهلي هو أكثر عصور الأدب ازدهاراً ، فإذا عجز أهله عن محاكاة القرآن فغيرهم أعجز ، ويرى أنهم كانوا مرحلة تمهيدية لمن جاء بعدهم من الكتّاب والشعراء والخطباء في العصرين الأموي والعباسي ، وهو لا يرى أن الزمان قد رجع في البيان العربي القهقرى في عهد عز العرب الإسلامي . واستدرك على من يفهم من قوله أن ليس القرآن إلا طوراً من أطوار النثر العربي ، وأنه فوق النثر الجاهلي ودون النثر العباسي ، من حيث الفن والمرونة والقدرة على الأداء ، قال : « وهذا غير صحيح ولا أقصده ، ذلك لأن القرآن في تاريخ الأدب العربي قائم بنفسه ، لأنه فذ في بيانه ، ويكفي لإدراك تفوقه أن يكون الناقد قد استوفى حظه من النقد الأدبي الفني ، فيقارن بينه (أي النص القرآني) وبين نص أدبي آخر ليشعر بالفرق المحسوس بينهما ، ذلك الفرق الذي جعله معجزاً رائعاً ، والذي يرجع الى أسباب سأذكرها في حينها » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد أنشأ فصلاً أبان فيه رأيه في إعجاز القرآن ، وجاء في أوله : « والذي أراه أنا هو أن القرآن باغتهم بمميزات فيه أدركوا جمالها وعجزهم عن مثلها » وردّ هذه المميزات الى أمرين اثنين ، أولها لفظي يرجع الى أسلوب القرآن المخالف لأساليبهم جميعاً ، وثانيها خفي أو داخلي يدرك بالذوق ويصعب بيانه وتعليله ، وفصّل القول في هذين تفصيلاً (مج ٢٧ ص ٤١٨ — ٤٢٣) وهنا انتهى المؤلف من الكلام على الجدال بين القرآن وبين العرب في عهد الرسول كما قال .

ثم قدّم (مقدمة) للإعجاز بعد عصر النبي (ﷺ) ذكر فيها ما خلاصته أن الصحابة الكرام ، كانوا قبل الاتصال بالأعاجم وعقائدهم ، على سلامة

في الفطرة ، وصفاء في العقيدة ، وقوة في الإيمان ، ووحدة في الأمة ، ثم امتد الزمان ، فاشتعلت الفتن ، ونشأت الفرق ، واقتتل المسلمون أنفسهم اقتتالا شديداً تحت راية القرآن وتأويله ، وفي عهد الفتوح ، وامتزاج المسلمين بشعوب البلاد ، كانت دعوتهم وجدالهم مع أهل الأديان « وكانت المناقشات الدينية قائمة فيها قبل الإسلام بزمن طويل على ساق وقدم ، تدور حول مسائل دينية فلسفية عويصة ، أهمها قضية لاهوتية المسيح أو ناسوتيته ، وقضية القضاء والقدر ، فكان حتماً عليهم أن يخوضوا غمار هذه المناقشات ، واصطدموا في العراق وفارس بأتباع المذهب الزردشتي وأتباع المذهب المانوي وبغيرهم ، فاضطروا الى مناقشة اصحاب الأديان في أديانهم ، والدفاع عن الإسلام الذي ينكره خصومهم ، وكان في مقدمة المسائل التي تستدعي الجدل والمناقشة مسألة نبوة النبي ، ومسألة تحدي القرآن للعرب في أن يأتوا بمثله ، ومسألة أنه وحي منزل من عند الله ، لا كلام ألفه الرسول » .

ومن هنا أخذ المؤلف يتكلم على فكرة إعجاز القرآن وتاريخها في العصور ، وأشهر من كتب فيها أخذاً ورداً وقبولاً ورفضاً ، الى عصرنا هذا . ثم أخذ يصف كلام البلغاء في إعجاز القرآن وكتبهم التي ألفوها فيه خاصة ، وفي طليعتهم الجاحظ والواسطي وإن كان كتابه مفقوداً ، والجرجاني والفخر الرازي ، والزملكاني والقرطاجني ، وبين أن الجماعات التي بحثت مسألة الإعجاز هي أربع : جماعة المعتزلة ، والمتكلمين ، والمفسرين ، والادباء ، وأن هذه الجماعات ليست متباينة ، فقد يجمع الرجل بين الأدب والاعتزال كالجاحظ ، وقد يجمع بين الاعتزال وعلم الكلام والتفسير كالزمخشري ، وتراهم جميعاً يستمد بعضهم من بعض ، وختم البحث بقوله ( مج ٢٧ ص ٥٧٣ ) ومن الخير أن أنتقل بعد هذه المقدمة التي بينت فيها خطوط فكرة الإعجاز الرئيسية ـ الى الكلام على من بحثوا فيها واحداً واحداً ، أصنفهم على حسب العصور التي عاشوا فيها ، ثم بحسب الجماعة التي ينتمون اليها اهـ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد طبق ما رسمه بدقة وعناية ، ومشى في العصور عصراً فعصراً ، مبتدئاً من العصر الثاني ، مختتما بالعصر الرابع عشر ، مراعياً زمن الكتاب ، واصفاً روح عصورهم الأدبية ، ونحلهم التي يميلون اليها . هذا وقد كنت اطلعت على هذه الأقوال أو كثير منها ، وأمرّ عليها الآن مجموعة في كتاب بذل صاحبه فيه جهداً يشكر عليه ، وهو ناقل ناقد مستقل ، قلما يتيسر لغيره مثل ما وفق اليه وناقش فيه . وظاهر أن الغرض منه تأييد إعجاز القرآن لا نفيه ، بدليل أنه أثبت لنفسه رأياً في إعجازه ، وكتبه تحت عنوان ( رأيي في إعجاز القرآن ) واستدلّ على ما ذهب اليه بأدلة أوضحها ( مج ٢٧ ص ٤١٨ وما بعدها ) .

ومن سبر هذه الأقوال والآراء سبراً بعيداً عن العصبية والتقليد ، وجد فيها الصواب الذي لا يحتمل الخطأ ، والشاذ الذي لا مرية في شذوذه ؛ وإني ذاكر ما يجول في الخاطر عوناً للمؤلف الكريم على تنقية مؤلفه من الشوائب ، لا سيما ما هو فيه ناقل غير قائل ، وما عرفناه إلا مسلماً منصفاً والله الحمد .

١ — في ( مج ٢٧ ص ٣٤٩ ) : « وإذا رجعنا إلى الاعتبار الديني ، كان فيض هذا الشعور النفسي الديني لدى النبي أمثل وأقوى في أذهاننا ، سواء أكنا مع القائلين من علماء المسلمين بأن معاني القرآن منزلة وأن اللفظ من النبي ، أو مع القائلين بأن القرآن بمعناه ولفظه وحي من الله ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

القول الثاني هو الصواب ، والأول خطأ صرف ، قال به بعض فلاسفة الغرب كتوماس ، ودينيه ، ودرمنغام وأمثالهم ، وقد كانوا كتبوا في السيرة النبوية شيئاً حسناً ، وبسطوا لأممهم حقائق منها لولاهم لطمسها الجهل والتعصب ، غير أن هؤلاء عرضت لهم شبه وأوهام ، فحسبوا الوحي الإلهي النبوي عموماً ، والمحمدي منه خصوصاً ، ضرباً من الاستعداد النفسي والفيض الذاتي ، أي

انه نابع من قلب الرسول ( ﷺ ) ، غير نازل من عند الله ( ويدخل في هذه الشبهات ما جاء وصفاً للقرآن ( مج ٢٧ ص ٣٥٨ و ٤٢١ ) من قولهم : تفكير ناضج عميق شامل بعيد النظر ، وتغذيها ( أي الغاية الإصلاحية ) عاطفة متأججة وخيال خصب ) .

وقد بسط السيد الإمام ( محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى ) هذه الشبه ، وأبرز معانيها ، وصوّرها بأجلى صورها ، ثم كرّ عليها بالنقض والإبطال ، وبين فسادها واستحالتها من عشرة وجوه لا تحتمل الرد ولا المراء . ( ص١٠٢ — ١١١ من كتاب الوحي المحمدي ) . وقريب من ذلك جعل المعتزلة القرآن مخلوقاً لا وحياً منزلا ، ففيه نفي صفة الكمال عنه تعالى وهي الكلام ، وردّ لقوله « وكلم الله موسى تكليماً » ويدفع قولهم ( بالصرفة ) — وهي في حقيقتها نفي الإعجاز عن القرآن — أن ليس للعرب من قبل ولا من بعد ما يماثله أو يدانيه .

ويقرب من هذه الأقوال بل يؤول اليها إثبات الكلام النفسي لله عز وجل دون الكلام اللفظي ، فيكون معنى تنزيل الكتاب من عند الله هو إظهار صورة حسية عن تلك الصورة النفسية الإلهية ، كما تؤخذ نسخة من الكتاب بآلة التصوير فتكون نسخة طبق الأصل ! والأصل هنا ما في نفس الله عز وجل من الكلام المسمى بالقرآن ، والمأخوذ عنه هو هذا القرآن المحفوظ في الصدور وفي السطور ، ومعنى ذلك أن الله لم يتكلم حقيقة ! ! وقد عاب الله من يعبد إلهاً لا يتكلم فقال : « ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا » وقد أنطق العلم الحديث الآن الجمادات فنطقت بغير فم ولسان كالحاكي مثلاً ، أفتأبى قدرة الله وحكمته أن يتكلم إلا بفم ولسان كالإنسان ؟ ! أفليس هو القادر على أن يختم على فم الانسان وينطق جسمه كما قال : « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم ... » الآية ، فهل يكون عاجزاً عن النطق من يفعل ذلك ؟ سبحانك اللهم وغفرانك .

٢ - (مج ٢٩ ص ٥٧٦) قول الرافعي : «في اشتمال القرآن على مبادئ العلوم وعلى كثير من المخترعات والنظرات العلمية الحديثة» لا يدل على أنه «يجعل من القرآن موسوعة دينية دنيوية لعلوم الأرض ! ؟» وإني مورد أمثلة توضح هذه المشكلة :

أ) قال تعالى : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ولا يخفى أن (ما) من ألفاظ العموم عند علماء العربية والأصول ، فقوله : «وأعدّوا» هو أمر عام، موجب على الأمة والدولة بذل أقصى المستطاع في إعداد القوة ، للدفاع عن الملة والحوزة ، وقد جاء اللفظ منكراً (من قوة) ليشمل كل قوة ، وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وفي عصرنا تعم بعموم اللفظين «(ما) استطعتم من (قوة)» القوى البرية والبحرية والجوية .

ب) ومن معناها قوله سبحانه : «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» فهي آمرة بصدّ كل عدوان يصدر من المجرمين أو الأعداء المحاربين وبإعداد سلاح من جنس سلاحهم مهما اختلفت أنواعه ، وتعددت أسماؤه ، فهو شامل للقذائف النارية اليدوية ، والمدافع والرشاشات ، والسفن الحربية والغواصات والطائرة النفاثة وغيرها ، بل تعم الآن القنابل الذرية والهيدروجينية ، ولا بد من إنشاء المعامل والمصانع لصنعها ، فهل في دلالة هذه العمومات العربية والأصولية الشرعية ، على ما قدمنا ، افتئات على اللغة أو الدين ، ولماذا نقصر العام على بعض أفراده كالسيوف والسهام وهو أضعفها في هذا الزمان ، ونقول هذا هو الاسلام ؟

ج) وفي صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر أنه سمع النبي (ﷺ) - وقد تلا هذه الآية - يقول : «ألا إن القوة الرمي» قالها ثلاثاً ، ولفظ الرمي كما يدل على قذيفة السهم والمنجنيق ، فهو يشمل القذائف النارية التي تقذف من المدافع والطائرات وغيرها ، ونحن لا نقول : إن النصوص دلّت

على هذه القوى والأسلحة بأعيانها ، أو سمتها بأسمائها ، بل نقول: إنها شملتها بعمومها لأنها من أفراد هذا العموم .

د) وفي سورة يس : «وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون» وهذه الآية كما تدل على «سفائن برٍّ والسراب بحارها» تدل بعمومها على القطر الحديدية ، والسفن الهوائية وغيرها مما ظهر وسيظهر في عالم الوجود ، ومثلها آية : «ويخلق ما لا تعلمون» أفما يصح أن يكون هذا الايجاز الشامل طريقاً من طرق الإعجاز ؟ بلى ، وإلاّ فما معنى كون القرآن لكل زمان ومكان ، وكونه لا تتناهى عجائبه ؟

٣ — (مج ٢٧ ص ٢٥٥) : «وذكر الألوسي ذهاب ابن عطية والمبرد إلى أن التحدي بسورة ، وقع قبل التحدي بعشر سور ... وذكر في تبرير ذلك ما قاله ابن الضريس نقلاً عن ابن عباس في أنه تحدّاهم بسورة مثله في البلاغة والاشتمال على الغيب والأحكام ، فلما عجزوا تحدّاهم بعشر مثله في النظم ، وأيّد الشهاب رأي المبرد في أن التحدّي كان أولاً بسورة ثم بعشر» قلت : وأيدهم في هذا السيد صاحب المنار في تفسيره وبيَّن أن حكمة التحدّي بالعشر بعد الآية الواحدة هو التوسعة بالإتيان بالخبر الواحد بأساليب متعددة متساوية في البلاغة ، وان القاموس الأعظم لإعجاز القرآن اللفظي هو تكرار المعنى الواحد بالعشرات والمئات من العبارات المختلفة في النظم والأسلوب ، وبلاغة العبارة وقوة تأثيرها في قلوب القارئين والسامعين لها ، وعدم وقوع الاختلاف بالتناقض أو التعارض في شيء منها .

٤ — يسرد الأستاذ المؤلف أسماء طائفة من أشهر المفسرين الذين خاضوا في الإعجاز من الطبري إلى طنطاوي جوهري في تفسير «الجواهر» ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار ، قال «من الجزء الثاني حتى العاشر» ثم أفرد آراءهم

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالذكر ، ولم يبين عن تفسير المنار شيئاً ، والظاهر أنه سها عنه ، أو لم يتمكن من تلخيص رأيه .

والذي أعرفه أنه تكلم في إعجاز القرآن في الجزء الأول ، وفي الحادي عشر والثاني عشر مفسراً فيها آيات التحدي في البقرة ويونس وهود ، ومما كنت كتبته في إعجاز القرآن من تفسيره ما نصه ، انه يضيف إلى وجوه إعجاز القرآن ، ومعجزات النبي (ﷺ) التى ذكرها سلفنا وجوهاً أخرى لم تكن معروفة من قبل ، وانكشفت الآن لدى المحققين الباحثين في خواص الكون ، وتاريخ البشر ، وسنة الله في الخلق ، وقد حققها القرآن الذي جاء به النبي عن ربه قبلهم بثلاثة عشر قرناً ، ككون الرياح تلقح الأشجار والثمار ، وكون السموات والأرض كانتا مادة واحدة ، وجعل كل شيء حي من الماء ، وجعل النبات مؤلفاً من زوجين اثنين ، والرياح هي التي تنقل مادة التلقاح من الذكر الى الأنثى (راجع تفصيلها من ص ٢١٠ ج ١) قال السيد المفسر : وفي هذا المعنى عدة آيات ، أعمها وأغربها وأعجبها قوله تعالى : « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » .

٥ — للإمام ابن القيم كتاب مطبوع سماه « كتاب الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان ) وكله شواهد لما وقع في الكتاب العزيز من فنون الفصاحة وعيون البلاغة ، وفي آخره فصلان في وجوه الإعجاز وأمثلة منه .

٦ — كتبت تصحيحاً لما رأيت من سهو في بعض الآيات الكريمة وها هي ذي مصححة :

(مج ٢٧ ص ٢٥٠ س ٨) « وكذلك ... » : « كذلك ... » السورة ٣ الآية ٢٤٢ .

(مج ٢٧ ص ٢٥٠ س ١٠) « ... وإن الله ... » : « ... وأن الله ... » الحج ، ١٦ .

(مج ٢٧ ص ٢٥٠ س ١٥) نبي أعطي : نبيّ إلا أعطي «حديث» .

(مج ٢٧ ص ٢٥٢ س ٨) «إنه أساطير ...» : «وقالوا أساطير ...» الفرقان ، ٥ .

(مج ٢٧ ص ٢٥٢ س ٩) «... تتلى عليه ...» : «... تُملَى عليه ...» الفرقان ، .

(مج ٢٧ ص ٢٥٢ س ٩) «إنه افتراه ...» : «إن هذا إلاّ إفك ...» الفرقان ، ٤

(مج ٢٧ ص ٢٥٣ س ١) «وقال الذين كفروا ...» : «قال الذين لا يرجون لقاءنا ...» يونس ، ١٥ .

(مج ٢٧ ص ٢٥٤ س ٨) : «... لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم ...» : «ولمّا يأتهم ...» يونس ، ٣٩ .

(مج ٢٧ ص ٤١٨ س ١٢) «يأيها الذين أسرفوا ...» : «قل يا عبادي الذين أسرفوا ...» الزمر ، ٥٣ .

٧ — (وفي مج ٢٧ ص ٤٢٢) : «فالذي أعتقده أن النبي لو فشل أو قتل لفاز قرآن مسيلمة أو أمثال مسيلمة» .

لِمَ لا يقال : لو فشل النبي الصادق لكان مسيلمة وأمثاله من الكذابين أشد فشلا ، وأقل ناصراً وعددا ، ولا يمكن أن تقيم نبوة الكذب طويلا .

٨ — في (مج ٢٧ ص ٥٧٧) : «فأما ابن الراوندي فقد ذكر الرافعي أنه كان يقول إن في القرآن كذباً وسفهاً» !! «وأما عيسى بن صبيح المزدار ف .... حتى انه كفّر مرة أهل الأرض قاطبة» وقد صنف الأستاذ الحمصي من تناول قضية الإعجاز في العصر الثالث الى أصناف : ١ — من ضعفت عقيدتهم وأنكروا الإعجاز من أحرار الفكر ، وأرباب الأديان ، ويمثلهم ابن الراوندي من المتفلسفة ، وعيسى بن صبيح المزدار من المعتزلة» . وقال : «كما كان من واجب المعتزلة أن يردّوا على أحرار الفكر والفلاسفة في مطاعنهم في الإسلام»

فتبين من هذا كله أن هذه الفوضى في الدين تسمى بحرية الفكر ، والمؤلف يسمي من اتهموا بالمعارضة للقرآن أو الزندقة بالمفكرين الأحرار ، والصواب أن هذا الصنف الأول وغيره من الطاعنين في الإسلام ، ومكذبي القرآن هم من أهل الكفر أو المكر والسفه فكيف يصح أن يلقبوا بهذه الألقاب : أحرار الفكر أو الفلاسفة ؟

٩ — المؤلف صافي الديباجة ، فصيح الأسلوب ، وقد مرت بي وأنا أطالع الكتاب هنات هينات ، أرجو أن تلاحظ في الطبعة الثانية إن شاء الله :

جاء في آخر ( ص ٢٤٧ مج ٢٧ ) : وإنما يقضي فقط على فكرة المعتقدين بأن الأدب الجاهلي هو أكمل مثال في تاريخ الأدب العربي » : لا محل للفظ ( فقط ) هنا ، لأن ( إنما ) تفيد الحصر وتغني عنها . ومثلها ( في مج ٢٨ ص ٦٤ ) : يمكن ( فقط ) أن تعرف ، ولا يمكن أن توصف . ( وفي مج ٢٨ ص ٦٦ ) : كالمتنبي الذي لم ينسب اليه ( فقط ) عدم اعتقاده بإعجاز القرآن ، بل يرى الخ ومحل ( فقط ) بعد ( بإعجاز القرآن ) . ومثلها في ( مج ٢٨ ص ٧٧ ) : أسلوب القرآن ليس أعلى ( فقط ) من أسلوب الإنس ، بل الخ فان محلها قبل ( بل ) .

( وفي مج ٢٧ ص ٢٤٩ س ٧ ) : برغم أن الرأي الذي تريد دعمه ( ومج ٢٧ ص ٤١٩ س ١٤ ) برغم بساطتها . ( وفي مج ٢٧ ص ٤٢٠ س ٧ ) : على الرغم من أنه يتناول الخ ( و س ١١ ) برغم تقدمها النسبي .

أقول إن الأستاذ المؤلف يكتب في إعجاز القرآن وهو يحب أسلوبه ، وقد قال تعالى : «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً» الآية ، ولم يقل برغم حبه أو على الرغم من حبهم إياه ، فالأفصح على هذا أن يقال : على أن الرأي : على بساطتها : على كونه يتناول : على تقدمها النسبي الخ .

١٠ — جاء في الخاتمة (مج ٣٠ ص ٣٠٨) قول المؤلف: ولا أرى الآن بدًّا من القول بأن فكرة الإعجاز عقيدة دينية مثل غيرها من العقائد التي لا يمكن أن يؤيدها برهان عقلي أو حسي حاسم، يكون له قوة البرهان الرياضي، فيقنع الخصم المعاند».

قلت: أما الخصم المعاند فيعارض حتى البرهان العقلي أو الحسي «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم» «فاستحبوا العمى على الهدى». ولكن الذي يجعل مسألة الإعجاز قطعية وقضية مسلّمة هو التجربة، فكل معتقد أو منتقد في وسعه أن يمتحن نفسه أو من شاء بالاتيان بسورة أو عشر سور كالقرآن، فاذا استبان له عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله، آمن عقله وحسّه بالعجز الذي آمنت به نفسه.

ألا وإن هذه الحركة مباركة، ونهضة قرآنية بالغة، تدعو حماة اللغة والقرآن في المدارس والجامعات، ودعاة القومية العربية في كل مكان، أن يمعنوا النظر فيما كتب هذا الأخ الكريم في إعجاز القرآن، ليضاعفوا نشاطهم ويعيدوا الى هذه اللغة الكريمة عهدها الأول الأغرّ المحجّل، ولقد زرت مدارس الاستشراق في بلاد الأجانب فرأيت فيها الدارسين والدارسات للقرآن، ومن يتكلم منهم باللغة الفصحى، وما ينبغي أن يكونوا بدراستهم للغتنا وكتابنا أسعد حظًّا منا. والله تعالى يشكر للمؤلف ما بذله في هذه السبيل من عناء وجهد، ويبارك فيه ويكثر من أمثاله، والسلام.

محمد بهجة البيطار

# مقدمة المرزوقي

## لشرح لحماسة أبي تمام

## شرح هذه المقدمة وضبطها

## — ٦ —

(ويروى عن عمر أنه قال في زُهير: كان لا يمدح الرجلَ إلا بما يكون للرجال) .

أراد الاحتجاج بكلمة صدرت من أحد أهل الذوق العربي بالسليقة وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه قدّم زهيراً بن أبي سلمى على غيره من الشعراء بثلاثة أمور سيجيء ذكر الأول والثاني في كلام المؤلف وثالثها هو أنه لا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال وفي رواية إلا بما فيه . وما اقتصر عليه المؤلف أظهر في الغرض يعني أنه يصيب الحز من وصف الممدوح فاذا مدح أحداً مدحه بصفات الكمال في الرجال كقوله في معلقته يخاطب هرم بن سنان والحارثَ بن عوف .

تدارکتما عبساً وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

عظيمين في عليا معد هديتما ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم

فهذا مدح بصفات الكمال والفتوة وهو أفضل من قول النابغة :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

ولما مدح عبيد الله بن قيس الرقيات عبد الملك بن مروان بقوله :

يأتلق التــاج فوق مفرقه على جبــين كأنه الذهب

عتب عليه عبد الملك وقال إنك قلت في مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

وإنما أنكر عليه من أجل أنه عدل به عن بعض الفضائل النفسية الى ما هو من صفات الجسم في البهاء والزينة فكان كالذي ينسب بمحاسن الحسناء .

واعلم أن هذا الأصل يختلف باختلاف العوائد واختلاف أغراض الناس من عناية بالفضائل النفسية أو المزايا الجسمية أو كليهما قال تعالى : « وزاده بسطة في العلم والجسم » . وكذلك اختلاف أحوال المدنية والبداوة وانظر قول جعفر بن علبة :

إذ هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

تجد ما مدح به نفسه جاريا على خلق الأبطال ولو سمعه الحكيم لعده تهوراً .

( فتأمل هذا فان تفسيره ما ذكرناه ) .

أمر بالتأمل لظهور أن عمر لا يريد بما يكون للرجال الاحتراز عن صفات النساء لأن ذلك لو وقع لكان غلطاً ولا يريد أيضاً أن يكون ما يمدح به ليس بمدح ولكنه أراد انه يمدح بما هو كمال حق . وقوله فان تفسيره ما ذكرناه أي هو جزئي من جزئيات قاعدة إصابة الوصف أي توصيف المعاني المقصودة فان المديح نوع من أغراض الكلام ومعانيه فأراد بالتفسير التمثيل .

( وعيار المقاربة في التشبيه الفطنة وحسن التقدير فأصدقه مالا ينتقض عند العكس ) .

لأن الفطنة هي التي ترشد الى مشابهة شيء لشيء أو أشياء وأما حسن التقدير فهو الذي يختار الشاعر بواسطته أشبه الأشياء بالمشبه به في الصفات المقصودة ومعنى أصدق التشبيه انه الأشد مطابقة لما في نفس الأمر بحيث لو عُكس التشبيه فجعل المشبه به مشبهاً لكان صادقاً وهو التشبيه المقلوب لأنه يتأتى عن شدة المشابهة كقول المتنبي :

وقابلني رمانتا غصن بانة يميل به بدر ويمسكه حقف

فشبه الثديين برمانتين وقال الآخر :

ورمانة شبهتها إذ رأيتها بثدي كعاب أو بحقة مرمر

( وأحسنه ما أوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما ) .

هذه الكلمة لقدامة في كتاب نقد الشعر .

( ليتبين وجه التشبيه بلا كلفة إلا أن يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبه به وأملكها له لأنه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس ) .

أي أحسن التشبيه ما كان وجه الشبه فيه ظاهراً حتى لا يحتاج الى ذكره فان كان خفياً كان من المناسب التصريح به كقول المعري في التشبيه المفرد :

رب ليل كأنه الصبح في الحسن وان كان أسود الطيلسان

وقول النابغة في التشبيه المركب :

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع

( وقد قيل أقسام الشعر ثلاثة : مثل سائر وتشبيه نادر واستعارة قريبة ) .

لم يعز هذا القول الى معين .

وظاهر هذا الكلام حصر الشعر في هذه الثلاثة وهو حصر للمبالغة تنويهاً بهذه الثلاثة كما لا يخفى والمراد بالتشبيه النادر هو الذي لا يهتدي اليه عامة الناس فالآتي به يدل على حسن فطنته وتخيله . قال في أسرار البلاغة [١] : « والمعنى الجامع في سبب الغرابة أن يكون التشبيه المقصود من الشيء مما لا ينزع اليه الخاطر ولا يقع في الوهم عند بداهة النظر الى نظيره الذي يشبه به بل بعد تثبت وتذكر وفكر للنفس عن الصور التي تعرفها وتحريك الوهم في استعراض ذلك » . وقال [٢] : ومما يزيد به التشبيه دقة وسحراً أن يجيء في الهيئات التي عليها الحركات كقول الوزير المهلبي :

---

(١) ص ١٢٥ طبع المنار .

(٢) صفحة ١٤٥ .

الشمس من مشرقها قد بدت مشرقةً ليس لها حاجب

كأنها بوتقة أحميت يجول فيها ذهب ذائب

وقول المؤلف « واستعارة قريبة » كذا في سائر النسخ بالقاف قال ابن رشيق[1] : « إنما يستحسنون الاستعارة القريبة وعلى ذلك مضى جلة العلماء واذا استعير للشيء ما يقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه في شيء ولو كان البعيد أحسن استعارة من القريب لما استهجنوا قول أبي نواس :

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيح

فأي شيء أبعد من صوت المال فكيف حتى يبح من الشكوى والصياح ١٠هـ » .

وحاصل مرادهم أن يكون وجه الشبه الذي بنيت عليه الاستعارة واضحاً وأن تكون إرادة الاستعارة واضحة حتى لا يحتاج الى القرينة أو الى تقوية القرينة .

( وعيار التئام أجزاء النظم والتئامه على تخير من لذيذ الوزن الطبع واللسان ) .

أراد بالطبع طبع الممارس للأدب كما قدمناه في شرح قوله « اتسع مجال الطبع » وباللسان لسان الممارس كذلك وقد فصّله بقوله :

( فما لم يتعثر الطبع بأبيّه وعقوده ) .

التعثر اضطراب الرجل في المشي من تعرض شيء في الأرض . وأراد بالأبيّ الكلام المتكلف المستكره كما تقدم في تفسير قوله « من الأبيّ المستنكر » وفي إحدى نسختيْ تونس ونسخة الآستانه بأُبَنه وضبط بضمة على الهمزة وفتحة على الباء فهو جمع أُبنَة وهي العقدة تكون في العود فتتعرض لكف المثقف فتضطرب اليد كأنها عثرة وهذا أنسب بقوله يتعثر . وفي نسخة دار الكتب مثل ذلك لكن بلا ضبط . والعقود جمع عَقد بمعنى المعقود وأكثر ما يطلق هذا الجمع على عقود البناء دون عُقد الخشب وفي نسخة مكتبة طلعت وعُقده وهو جمع عُقدة وهي أنسب بالجمع .

(١) صفحة ١٨١ من العمدة ، مطبعة هندية بالقاهرة ، سنة ١٣٤٦ .

(ولم يتحبس اللسان في فصوله ووصوله) .

إن أراد بالفصول والوصول المعنى الاصطلاحي عند علماء المعاني المتقدم في تفسير قوله «تناسب الفصول والوصول» تعين أن يكون المراد بتحبس اللسان في ذلك أن يثقل عليه ما اختل من ربط الجمل بعضها مع بعض حتى خرج عن معتاد أهل الاستعمال فيعطف الجملة حيث اعتيد فصلها ويفصلها حيث اعتيد وصلها وفي إطلاق التحبس على هذا تكلف . ويجوز أن يكون أراد بالفصول والوصول المعنى اللغوي فالوصول اتصال أبيات القصيدة بعضها ببعض في تناسب معاني الأبيات والفصول فصول معاني البيت الواحد وهذا أنسب بقوله :

(بل استمرا فيه واستسهلاه بلا ملال ولا كلال فذلك يوشك أن تكون القصيدة منه كالبيت والبيت كالكلمة تسالما لأجزائه وتقارنا) .

وفي نسختي دار الكتب وطلعت وتقارباً بالوحدة والمعنيان متقاربان .

(والا يكون كما قيل فيه :

وشعر كبعر الكبش فرّق بينه لسانُ دعيّ في القريض دخيل)

في إحدى نسختي تونس ضبط بفتحة على نون يكون فتعين أن تكون همزة الا مفتوحة . وهي انْ المصدرية ادغمت في لا النافية وهو عطف على قوله ان يكون من قوله يوشك أن يكون . وأما ضبطه بهمزة في أسفل الألف فيقتضي أن يجزم يكن .

والبيت المذكور هنا نسبه الجاحظ في البيان لأبي البيداء الرياحي واسم أبي البيداء أَسْعَد ترجمهُ ياقوت في معجم الأدباء .

(وكما قال خَلَف :

وبعض قريض الشعر أولاد علَّة يكُدّ لسانَ الناطق المتحفظ)

نسخة يكد بالدال أحسن من نسخة يكل باللام وأشهر وكذلك هو في

نسختيْ تونس ونسخة الآستانة والعَلّة بفتح العين ضرة المرأة وأولاد العلة الأخوة للأب وشاع أن يكون بينهم جفوة لأجل جفاء الأمهات ويضرب مثلاً للأشياء المتقاربة غير المتناسبة • وخلَف هو خلَف الملقب بالأحمر ابن حيان مولى بلال ابن أبي بردة وهو بصري علاّمة في العربية وكان قريب الأصمعي وأعلمَ أهل عصره بالشعر توفي في حدود الثمانين ومائة •

( وكما قال رؤبة لابنه عقبة وقد عرض عليه شيئاً مما قاله فقال : قد قُلتَ لو كانَ له قِران ) •

كلمة رؤبة هي من الرجز • وفي البيان للجاحظ قال نوفل بن سالم أو عبيد الله ابن سالم لرؤبة بن العجاج : « يا أبا الجَحّاف مُتْ مَتى شئتَ - قال وكيف ذاك - قال - رأيتُ عقبة بنَ رؤبة ينشد رجزاً أعجبني - قال - إنه يقول لو كان لقوله قِران » يريد بالقِران التشابه والموافقة كما فسره الجاحظ •

فالمراد بالقول في « قد قلت » في الخبر الذي حكاه المؤلف ومعنى « انه يقول » في الخبر الذي رواه الجاحظ هو القول الحسن المقبول أي هو يقول الرجز الحسن ولكنه يأتي بالبيت الحسن ومعه البيت الذي لا يماثله في الحسن. وهذا كما قال عُمر بن لَجَأ لبعض الشعراء [1] : « أنا أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه » [2] • أراد بكونه أخاً شدة المشابهة في معنى الشعرية بحيث يحق أن يوضع الى جنبه •

( وانما قلنا على تخير من لذيذ الوزن لأن لذيذه يطرب الطبعُ لايقاعه ويمازجه بصفائه • كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه ولذلك قال حسان :

تغن في كل شعر أنت قائله ... إن الغناء لهذا الشعر مضمار )

---

(١) عمر بن لَجَأ التيمي من تيم الرِّباب شاعر معاصر لجرير بن عطية الشاعر وقد تهاجيا ولعل كلمته هذه قالها لجرير •

(٢) صفحة ١٠٩ من البيان للجاحظ جزء ١ طبع المطبعة التجارية •

ساق بيت حسان حجة على أن ميزان الشعر من نوع الموسيقى فأوزان الشعر وضروبه تتفاضل بمقدار شدة تناسب الحركات والسكنات كما هو شأن الموسيقى ، فحسان يرشد الشاعر الى اختبار استقامة ميزانه بأن ينشد أبياته بالترنم كالغناء ليستبين له مستقيم الوزن فانه اذا أنشده فلم يتعثر لسانه في تساوي أجزائه علم استقامتها وإلا شعر باختلال فأصلحه بمقدار ما تحصل به المساواة وذلك انهم لم تكن عندهم قواعد العروض وانما كانوا يدركون الميزان بالسليقة . والمضمار المسافة التي تحدد للسباق بين الخيل والمعنى ان الغناء تظهر به خصال الشعر كما تظهر بالمضمار خصال خيل الحلبة .

( وعيار الاستعارة الذهن والفطنة وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به ثم يكتفى منه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان له في الوضع الى المستعار له ) .

إدراك حسن الاستعارة كإدراك قرب التشبيه ولذلك جعل ملاك أمرها قرب التشبيه . وملاك الشيء بفتح الميم وكسرها قوامه الذي يملك به أي ما يملك به حسن الاستعارة ويحقق هو تقريب التشبيه وتقريب التشبيه تقدم وقوله «لأنه المنقول عما كان له في الوضع الخ» تعليل ليكتفى منه أي لأنه ادعى ان المشبه من أفراد المشبه به فنقل اسم المشبه به الى المشبه وأطلق عليه مع عدم ذكر حرف التشبيه لأن الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه .

( وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية طول الدربة ودوام الدراسة فاذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض لا جفاء في خلالها ولا نبو ولا زيادة فيه ولا قصور وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد جعل الأخص للأخص والأخس للأخس فهو البريء من العيب ) .

أحال المؤلف في هذا على طول الدربة ودوام المدارسة أي مدارسة أهل الفن في مختلف الشعر من نقد واختيار وهذا من الحوالة على الذوق وقد قدمناه .

وقوله لا جفاء في خلالها وقع في نسختي تونس ونسخة الآستانة لا خفاء بالخاء المعجمة من فوق في خلالها بضمير التثنية والظاهر ان ذلك تحريف .

والمراد بالأخص الكامل كأنه جعل من الخاصة أي أصحاب الكمال ولذلك قابله بالأخس .

( وأما القافية فيجب أن تكون كالموعود به المنتظر يتشوقها المعنى بحقه واللفظ بقسطه والا كانت قلقة في مقرها مجتلبة لمستغن عنها ) .

قوله ( يتشوقها المعنى بحقه ) أي يقتضيها فجعل اقتضاء معنى البيت للقافية كالتشوق وهو شدة الشوق وجعل ذلك الشوق ملابساً للحق أي يتشوقها تشوقاً حقاً وجعل اللفظ متشوقاً للقافية بقسطه أي بحظه من البيت فان للألفاظ حظوظاً من المناسبة كما تقدم .

ألا ترى قول أبي الطيب :

رأيتك في الذين أرى ملوكا كأنك مستقيم في محال

فانك تجد كلمة القافية مقتضبة مجتلبة لأجل الروي وإلا فان الاستقامة يقابلها الاعوجاج بيد انه غفر له ذلك قوله بعده :

فان تفق الأنام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

فجاء بمعنى بديع وقافية متشوقة بحيث لا يمكن أن تعوض بغيرها . وقد تقدم بيان بقية كلام المؤلف في عد الأبواب السبعة .

( فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها فهو عندهم المفلق المعظم . والمحسن المقدم . ومن لم يجمعها كلها فبقدر سهمته منها يكون نصيبه من التقدم والاحسان . وهذا اجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن ) .

قال قدامة في نقد الشعر «ما يوجد من الشعر الذي اجتمعت فيه الأوصاف المحمودة كلها وخلا من الخلال المذمومة بأسرها ، يسمى شعراً في غاية الجودة

وما يوجد بضد هذه الحال يسمى شعراً في غاية الرداءة وما يجتمع فيه من الخالين أسباب ينزل له اسماً ( كذا ) بحسب قربه من الجيد أو من الرديء أو وقوعه في الوسط الذي يقال لما كان فيه صالح أو متوسط أو لا جيد ولا رديء » .

( واعلم ان لهذه الخصال وسائط وأطرافاً فيها ظهر صدق الواصف وغلو الغالي واقتصاد المقتصد وقد اقتفرها اختيار الناقدين ) .

أثبت الدكتور الناشر كلمة اقتفرها بتقديم القاف على الفاء وكذلك هي في نسخة الآستانة وهي كما فسرها الدكتور الناشر بمعنى تتبع الأثر وسياق الكلام يرجح هذه النسخة وذكر الناشر انها في نسخة ط بتقديم الفاء وكذلك هي في نسختيْ تونس ويظهر انه تحريف .

( فمنهم من قال أحسن الشعر أصدقه قال لأن تجويد قائله فيه مع كونه في اسار الصدق يدل على الاقتدار والحذق ومنهم من اختار الغلو حتى قيل أحسن الشعر أكذبه لأن قائله اذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتد فيما يأتيه الى أعلى الرتبة وظهرت قوته في الصياغة وتمهره في الصناعة واتسعت مواجه ومخارجه فتصرف في الوصف كيف شاء لأن العمل عنده على المبالغة والتمثيل لا المصادقة والتحقيق وعلى هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له . وبعضهم قال أحسن الشعر أقصده لأن على الشاعر أن يبالغ فيما يصير به القول شعراً فقط فما استوفى أقسام البراعة والتجويد أو جلها من غير غلو في القول ولا إحالة في المعنى ولم يُخرج الموصوفَ الى أن لا يؤمَن بشيء من أوصافه لظهور السرف في آياته وشمول التزيد لأقواله كان بالإيثار أولى ) .

هذا مقام شاع خوض البلغاء فيه من عهد الجاهلية وقد رويت قصة طعن النابغة على حسان في عكاظ ـ قول حسان :

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وهي مشهورة في دواوين الأدب العربي وقد ذكرها قدامة في باب المعاني الدال عليها الشعر . وقد اختار أئمة الأدب الغلو كما صرح به المؤلف هنا وسبقه اليه قدامة في نقد الشعر إذ يقول «إن الغلو عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب اليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً ـ قال ـ وقد بلغني عن بعضهم أنه قال أحسن الشعر أكذبه اه» . والاستعارة مبنية على الكذب وكذلك المبالغة وعلى هذا الاختلاف جرى كلامهم في المبالغة المقبولة والمردودة كما هو مبين في فن البديع .

وقد نبه المرزوقي تبعاً لقدامة على أن مرادهم بالأكذب هو الغلو وهو كذب تصاحبه قرينة على انه مخالف للواقع لغرض لطيف وليس مرادهم الكذب مطلقاً .
وقوله «فهنهم من قال أحسن الشعر أصدقه» قال حسان بن ثابت وربما نسب الى زهير [1] :

وانما الشعر لب المرء يعرضه على البرية ان كيساً وان حمقا
وان أشعر بيت أنت قائله بيت يقال اذا أنشدته صدقا

يعني بذلك أن يكون الشعر تعبيراً عن الأمر الواقع وقد قدمنا الكلام عليه عند الكلام على شرف المعنى . وقوله «كان بالإيثار أولى» في نسختي تونس ونسخة الآستانة «كان بالإيثار والانتخاب أولى» .

(ويتبع هذا الاختلاف ميلُ بعضهم الى المطبوع وبعضهم الى المصنوع . والفرقُ بينهما أن الدواعي اذا قامت في النفوس وحركت القرائح أعملت القلوب واذا جاشت العقول بمكنون ودائعها وتظاهرت مكتسبات العلوم وضرورياتها نبعت المعاني ودرّت أخلافُها وافتقرت خفيات الخواطر الى جليات الألفاظ فمتى رفض التكلف والتعمل وخلي الطبع المهذب بالرواية المدرب في الدراسة لاختياره

(١) كما في صفحة ١٤٢ ج ٣ العقد الفريد والمشهور في كتب الفن نسبته الى حسان .

فاسترسل غير محمول عليه ولا ممنوع مما يميل اليه - أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفواً بلا كدر وعفواً بلا جُهد وذلك هو الذي يسمى المطبوع . ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعمل والتكلف عاد الطبع مستخدماً متملَّكاً وأقبلت الأفكار تستحمله أثقالها وتردده في قبول ما يؤديه اليها مُطالبةً له بالإغراب في الصنعة وتجاوز المألوف الى البدعة فجاء مؤداه وأثرُ التكلف يلوح على صفحاته وذلك هو المصنوع . وقد كان يتفق في أبيات قصائدهم من غير قصد منهم اليه اليسيرُ النزرُ ، فلما انتهى قرض الشعر الى المحدَثين ورأوا استغراب الناس للبديع على افتنانهم فيه أولعوا بتورده إظهاراً للاقتدار وذهاباً الى الإغراب فمن مفرط ومقتصد ، ومحمود فيما يأتيه ومذموم ، وذلك على حسب نهوض الطبع بما يُحمَّل ومدى قواه فيما يطلب منه ويكلَّف . - فمَن مال الى الأول فلأنه أشبه بطرائق الأعراب لسلامته في السبك واستوائه عند الفحص ، ومن مال الى الثاني فلدلالته على كمال البراعة والالتذاذ بالغرابة ) .

كلام المؤلف هنا مفصح أتم الإفصاح غير محتاج الى الشرح .

ويجب التنبيه على كلمات : فقوله « واذا حاشيت » في نسختي تونس ونسخة الآستانة فاذا بالفاء وهو أحكم ربطاً . وقوله « لاختياره » متعلق بقوله « وخلي الطبع » .

( وأما تعجبك من أبي تمام في اختيار هذا المجموع وخروجه عن ميدان شعره ومفارقته ما يهواه لنفسه وإجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من التوفيق في قصده ، فالقول فيه ان أبا تمام كان يختار ما يختاره لجودته لا غير ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته ، والفرق بين ما يشتهى وبين ما يستجاد ظاهر ، بدلالة ان العارف بالبَزّ قد يشتهي لبس ما لا يستجيده ويستجيد ما لا يشتهي لبسه وعلى ذلك حال جميع أغراض الدنيا مع العقلاء العارفين بها في الاستجادة والاشتهاء . وهذ الرجل لم يعمد من الشعراء الى المشهورين منهم دون الأغفال ولا من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر الى المتردد في الأفواه والمجيب لكل داع ، فكان أمره أقرب ، بل إعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرمهم واسلاميهم ومولدهم فاختطف منها الأرواح دون الأشباح واخترف الأثمار دون الأكمام وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه ، لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه وطرق الاحسان والاستحسان لم تستتر عنه ) .

ليست بعد هذا الكلام حاجة الى الشرح .

( حتى انك تراه ينتهي الى البيت الجيد فيه لفظة تشينه فيجبر نقيصته من عنده ويبدل الكلمة بأختها في نقده ) .

ان ما حدا أبا تمام الى ذلك أنه لما قصد الى اختيار ما يختار من الشعر لم يقصد صحة رواية أشعارهم لأنها كانت مجموعة مروية وانما أراد تقريب المختار منها الى أذواق الناشئين في صناعة الشعر لتكون لهم مثالاً تحتذيه أذواقهم ومنوالاً تنسج عليه أشعارهم ومع هذا فانه لا يصير الى هذا التغيير إلا نادراً عند الاقتضاء فقد عمد الى قول الربيع بن زياد في رثاء مالك بن زهير :

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ فليأت نسوتنا بوجه نهار

فغيره وجعله فليأت ساحتنا وحمله على ذلك كراهية تعليق فعل الإتيان بالنسوة . وكذلك عمد الى قول تأبط شراً :

وأُبتُ الى فهم وما كدت آيباً وكم مثلها فارقتُها وهي تصفر

فغيره ولم أَكُ آيباً مراعاةً لكون ما كدت يقتضي أنه نفي اقتراب إيابه مع أنه قد آب وفي داعي تغييره نظر يعلم من قوله تعالى : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » .

( وهذا يَبين لمن رجع الى دواوينهم فقابل ما في اختياره بها . ولو أن نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء أشعر الناس .

ويكشف هذا انه قد يميز الشعر من لا يقوله ويقول الشعر الجيد من لا يعرف نقده ، على ذلك كان البحتري لأنه فيما حكي عنه كان لا يعجب من الشعر إلا بما يوافق طبعه ومعناه ولفظه ) .

قال في دلائل الاعجاز : روي ان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر سأل البحتري عن مسلم بن الوليد وأبي نواس أيهما أشعر فقال : أبونواس . فقال : ان أبا العباس ثعلباً لا يوافقك على هذا . فقال : ليس هذا من شأن ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله إنما يعلم ذلك من دُفع في سلك طريق الشعر إلى مضايِقِه وانتهى الى ضروراته اه .

( وحكى الصولي أنه سمع المبرد يقول سمعت الحسن بن رجاء يقول : ما رأيت أحداً قط أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام . وحكي عنه أنه مر بشعر ابن أبي عيينة فيما كان يختاره من شعر المحدثين فقال : وهذا كله مختار . هذا وشعره أبعد الأشياء من شعره وهذا واضح ) .

تقدمت ترجمة الصولي . وأما المبرد فهو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد بكسر الراء الأزدي البصري المولود سنة ٢١٠ والمتوفى سنة ٢٨٥ إمام العربية ببغداد إذ كان فصيحاً علاّمةً في العربية صنف كتاب الكامل جمع فيه من أبلغ الكلام وأفصحه نظماً ونثراً . ولقب المبرد أي المثبت للحق وله تآليف جمة . وأما الحسن بن رجاء فهو أديب شاعر كان زمن الواثق ولم أقف على سنة وفاته وذكر له في الأغاني أبياتاً أربعة كتب بها الى الحسين بن الضحاك الشاعر في ترجمته . وابن أبي عيينة اسمه أبو عيينة [١] وكنيته أبو المنهال ونسب الى جده فهو أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي [٢] البصري

(١) جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٢٤٩ طبع دار المعارف بمصر .

(٢) الأغاني ج ١٨ ص ٨ طبع بولاق .

كان شاعراً مطبوعاً من شعراء [١] دولة الأمين [٢] ومدح طاهر بن الحسين في خلافة المأمون . قال ابن الأثير في الكامل انه أنشد طاهر بن الحسين :

ما ساء ظني إلا بواحدة في الصدر محصورة عن الكلم

يعرض بقتل طاهر محمداً بن يزيد المهلبي فتبسم طاهر وقال أما والله ساءني من ذلك ما ساءك وآلمني ما آلمك الخ ترجمه في الأغاني [٣] وقال « كان ابن أبي عيينة يهوى فاطمة بنت عمر بن حفص الملقب هزارمرد من قواد الدولة العباسية . وعن المبرد أنه قال لم يجتمع لأحد من المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومديح أبيه كما اجتمع لابن أبي عيينة في قوله يهجو خالداً عمه :

أبوك لنا غيث نعيش بكنفه وأنت جواد ليس يبقي ولا يذر

وعاش ابن أبي عيينة بعد موت المأمون ولم أقف على تعيين عام وفاته . وقول أبي تمام في شعره « وهذا كله مختار » هو السبب في أنه لم يثبت شيئاً من شعره في ديوان الحماسة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

( وأما ما غلب على ظنك من أن اختيار الشعراء موقوف على الشهوات إذ ما كان يختاره زيد يجوز أن يزيفه عمرو ، وان سبيلها سبيل الصور في العيون الى غير ذلك مما ذكرته ، فليس الأمر كذلك لأن من عرف مستور المعنى ومكشوفه ومرفوض اللفظ ومألوفه وميز البديع الذي لم تقتسمه المعارض ولم تعتسفه الخواطر ونظر وتبحر ، ودار في أساليب الأدب فتخير ، وطالت مجاذبته في التذاكر والابتحاث ، والتداول والابتعاث ، وبان له القليل النائب عن الكثير ، واللحظ الدال على الضمير ، ودرى تراتيب الكلام وأسرارها ، كما درى تعاليق المعاني وأسبابها ، الى غير ذلك مما يكمل الآلة ويشحذ القريحة ؛

(١) تاج العروس .
(٢) الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٩٥ .
(٣) جزء ١٨ صفحة ٨ .

تراه لا ينظر إلا بعين البصيرة ولا يسمع إلا باذن النصفة ولا ينتقد إلا بيد المعدلة فحكمه الحكم الذي لا يبدل ونقده النقد الذي لا يغير) .

قال الآمدي في الموازنة[1] : «وأنبه على الجيد وأفضله على الرديء . وأبين الرديء وأرذله وأذكر من علل الجميع ما ينتهي اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقى مالم يمكن إخراجه الى البيان . ولا إظهاره الى الاحتجاج ، وهي علة ما لا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الطباع وامتزاج وإلا لا يتم ذلك اﻫ» .

(واعلم انه قد يعرف الجيد من يجهل الرديء والواجب أن تعرف المقابح المتسخطة كما عرفت المحاسن المرتضاة) .

هذا شروع في التنبيه على علل اختلال الشعر وصفات رديئه بعد أن انتهى من بيان أسباب الجودة والاختيار . وأراد بقوله قد يعرف الجيد من يجهل الرديء انه قد يتمحص بعض الأدباء للانكباب على مطالعة المختارات والدواوين المشهود لها بالإجادة ولا يشتغل بتتبع ساقط الأشعار لأن في طباع الناس اتباع الكمال ومحبة العكوف على الحسن إرضاء لميل النفس الى محاسن الأشياء وجمالها فيبقى غير عالم بالرديء ، ويتطاول الإعراض عن تتبع الرديء يضعف انتباهه الى علل السقوط وأسباب الرداءة . وليس مراده بجهل الرديء العجز عن أن يدرك رداءة الرديء فان من عرف الجيد لا يعدم إدراك ما ليس بجيد كما دل عليه قوله «والواجب أن تعرف المقابح الخ» فكما يجب معرفة أسباب الاختيار يجب معرفة علل النقد . فلا جرم ان كان واجباً على من يعنى بالأدب اهتمامه بمطالعة ما للشعراء من أسقاط[2] وأغلاط كما يهتم بما لهم من بدائع انماط .

(١) صفحة ١٦٧ .

(٢) جمع سقط وهو الشيء الساقط .

فان ذلك يزيد الحسن في نفسه حسناً ولأن ذلك يكسبه ملكة الحكم مقدرة الاقتناع بأسباب الارتفاع والانحطاط .

(وجماعها اذا أجملت انها أضداد ما بيناه من عَمَد البلاغة وخصال البراعة في النظم والنثر) .

أراد بعمد البلاغة ما سماه فيما تقدم عمود الشعر وهو الأبواب السبعة وبخصال البراعة ما سبق من شروط الإجادة عند البلغاء .

(وفي التفصيل كأن يكون اللفظ وحشياً) .

قوله وفي التفصيل عطف على قوله اذا أجملت وهذا تفصيل ما أجمله آنفاً .

وقوله «كان يكون اللفظ وحشياً» يقال وحشي ويقال حوشي بطريق القلب المكاني والوحشي اللفظ الذي يقل استعماله في الكلام الفصيح أو يكون مراد الشاعر به غير معلوم ومثاله ما وقع في شعر أبي حزام غالب العكلي من شعراء زمن المهدي قوله :

تذكرتُ سلمى وأهلاسَها فلم أنس والشوق ذو مطرُوْة

وأنشد أحمد بن يحيى ابن الأعرابي أبياتاً منها قوله:

حلفت بها أرقلت نحوه همَرْجلَةٌ خلقها شيظم

فقال له ابن الاعرابي إن كنت جاداً فحسبك الله .

(أو غير مستقيم) .

أراد به ما خالف قياس اللغة كقول أبي النجم «الحمد لله العليّ الأجلَل» بفك الادغام ، أو ما خفي اشتقاقه كقول العجاج «وفاحماً ومرسناً مسرجاً» فلم يدر أأراد أنه منسوب الى السيف السريجي في الدقة والاستواء أم الى السراج في البريق .

(أو لا يكون مستعملاً في المعنى المطلوب) .

يعني به الغلط في استعمال اللفظ كما تقدم من قول المسيب بن علس :

«بناج عليه الصيعرية مكدم»

ARCHIVE

ومثله الاستعارة المذمومة كقول أبي تمام :

لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ماء بكائي

( فقد قال عمر رضي الله عنه في زهير : لا يتبع الوحشي ولا يعاظل في الكلام ) .

ساقه المؤلف حجة على السلامة من الوحشية ومن عدم الاستقامة ولذلك لم يقتصر على إحدى الجملتين كما اقتصر على الجملة الثالثة فيما تقدم من قول عمر « ولا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال » حيث كانت ترجع الى حسن معنى الوصف .

وقول عمر « لا يعاظل في الكلام » وقع في نسختي تونس وفي نسخة الآستانة ولا يعاظل الكلام بسقوط حرف الظرفية وكذلك في النسخة الشنقيطية من النسخ التي اعتمدها الناشر ولا وجه لسقوط « في » إذ لا يتعدى فعل يعاظل الى الكلام بنفسه . وفي كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد [1] « ولا يعاظل بين الكلامين » وفي نقد الشعر والموازنة والمثل السائر « ولا يعاظل بين الكلام » وإضافة بين الى الكلام وهو مفرد لأنه على تقدير الأجزاء أي بين أجزاء الكلام ومفرداته . ومعنى يعاظل يجعل الكلام متعاظلاً كما جاء في الحديث : « سابَقَ بين الخيل » أي جعلها تتسابق والمؤلف غير كلام عمر بأن جعل حرف الظرفية في موضع بين ليوضح معنى بين . واختلفت أقوالهم في تفسير المعاظلة اختلافاً يتبعون فيه ما يقتضيه اشتقاق اللفظ : فسر أبو زيد المعاظلة بأن يردِّد الكلام في القافية لمعنى واحد ( يعني الإيطاء ) . وفسرها قدامة بأنها أن يدخل الكلام ما ليس من جنسه وما هو غير لائق به وهذا تفسير غلط فيه الآمدي في الموازنة . وفسر هو المعاظلة بأنها شدة تعليق الشاعر ألفاظ البيت بعضها ببعض وان يداخل لفظة من أجل لفظة تشبهها أو تجانسها وان اختل المعنى بعض الاختلال كأنه يعني الافراط في التجنيس ومثلها بقول أبي تمام :

(١) صفحة ٢٥ طبع بولاق سنة ١٣٠٨ .

خان الصفاء أخ خان الزمان أخاً  عنه فلم يتخون جسمه الكمد

لكثرة ألفاظ خان وتخون وأخ وأخاً . وفسرها ابن الأثير في كتاب المثل السائر بما يشمل التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي والتنافر وتكرار العوامل وتتابع الاضافات . ويظهر أن المؤلف يجعل المعاظلة كون اللفظ غير مستقيم الدلالة أو غير مستعمل في المعنى المطلوب وهذا تفسير يشمل جميع ما فسروا به المعاظلة فلله دره في إيجازه وإعزازه وأياً ما كان تفسير المعاظلة فهي عيب يتعلق بالألفاظ من حيث هي دالة على المعاني التي تفهم منها .

( أو يكون فيها زيادة تفسد المعنى أو نقصان ) .

أما الزيادة المفسدة فكقول الشاعر :

بأطيب من فيها لو أنك ذقته  اذا ليلة أسجت وغارت نجومها

فقوله لو انك ذقته زيادة تفسد المعنى لأنها توهم أنه لو لم يذقه لم يكن طيباً .

وأما النقصان المفسد للمعنى فهو أن يترك من اللفظ ما به تمام المعنى المراد كقول الشاعر :

لا يرمضون اذا حرت مشافرهم  ولا ترى منهم في الطعن ميالا
ويفشلون إذا نادى ربيئهم  ألا اركبن فقد آنست أبطالا (١)

فقوله ويفشلون أراد ان يقول ولا يفشلون فحذف لا فصار الى ضد المعنى .

ومن هذا النوع الإيجاز الذي لا يفي بالمقصود كقول الحارث بن حلزة :

والعيش خير في ظلا  ل النوك ممن عاش كدا

أراد العيش الناعم في حالة الحماقة خير من العيش بكد في حالة العقل فقصر عن المراد .

( تونس )  محمد الطاهر ابن عاشور

« يتبع »

(١) يصف قوماً بازاء الضيم فشبههم بابل لا ترمض أي لا ترعى الرَّمِضَة وهي الأرض التي اشتدت حرارة مرعاها من شدة الرمضاء . وفي لا يرمضون استعارة مكنية ووصفهم بالنشاط اذا دعوا الى منازلة الأبطال .

# كتاب اللمعة

## في صنعة الشعر

### لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري

زار دمشق منذ أسابيع الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد إحياء المخطوطات العربية في جامعة الدول العربية بالقاهرة ، وعرّج في أثناء زيارته على المجمع العلمي العربي وأطلع معالي رئيسه الأستاذ خليل مردم بك على صورة شمسية لصفحات من مجموع موجود في مكتبة سليم آغا في اسكودار باستانبول كان المستشرق الكبير ريتر قد قام مشكوراً بتصويرها وإرسالها الى المعهد المذكور .

ARCHIVE

وهذه الصفحات تشتمل على كتاب ( اللمعة في صنعة الشعر ) للأنباري . والأنباري هذا هو كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن أبي سعيد الأنباري [1] . ولد سنة ٥١٣ هـ ( ١١١٩ م ) في مدينة الأنبار على الفرات وأخذ عن كبار علماء عصره كالرزاز والجواليقي وابن الشجري ودرس في النظامية في بغداد ثم توفي سنة ٥٧٧ هـ ( ١١٨١ م ) [2] بعد أن صنف

---

(١) بين المؤرخين خلاف حول أسماء أجداد الأنباري ، فمنهم من يُغفل عبيد الله من سلسلة نسبه ومنهم من يجعل اسم أبيه محمداً واسم جده محمد بن عبيد الله . . . .

(٢) ترجم للأنباري من المتقدمين السبكي والسيوطي وابن خلكان والكتبي في ( فوات الوفيات ) وابن قاضي شهبة ، ومن المتأخرين بروكلمان وڤايل ودائرة المعارف الاسلامية وغيرهم .

أكثر من سبعين كتاباً تجد ثبتاً بالمهم منها في ( بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ) للسيوطي وفي ( تاريخ الأدب العربي ) لبروكلمان ( ج ١ ص ٢٨١ ) وذيله ( ١/٤٩٥ ) وفي كشف الظنون لحاجي خليفه وفي مقدمة گوتهولد ثايل التي صدّر بها كتاب الأنباري ( الإنصاف في مسائل الخلاف ) الذي نشره في ليدن سنة ١٩١٣ . . . . . على أن أكثر مؤلفات الأنباري لم يطبع[1] . ومن هذه المؤلفات ( كتاب اللمعة في صنعة الشعر ) .

أشار إلى هذا الكتاب بعض من ترجموا لمؤلف من القدامى والمحدثين كالسيوطي وحاجي خليفة ـ وقد ذكر فاتحة مقدمته وهي وفق فاتحة المخطوط الذي نتحدث عنه ـ وبروكلمان[2] . وفي آخر المخطوط يحيل الأنباري على كتاب آخر كان قد ألفه من قبل واسمه ( الموجز في علم القوافي ) . ومترجمو الأنباري يثبتون له كتاباً بهذا الاسم أو باسم قريب منه فيسميه السيوطي ( الموجز في القوافي ) ويجعله حاجي خليفة ( شرح الموجز في القوافي ) . وعلى ذلك فلا مجال للشك في نسبة ( كتاب اللمعة ) للأنباري .

ومخطوط خزانة سليم آغا الذي ننشره هنا يشتمل على أربع ورقات رقمها في المجموع ٩٦ — ٩٩ وفيها سبع صفحات ، في الصفحة قرابة عشرين سطراً ، في كل سطر اثنتا عشرة كلمة في الغالب . ويبدو لي أن هذا المخطوط كتب

---

(١) يقوم الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار عضو المجمع العلمي العربي بتحقيق كتاب من أجل مؤلفات الأنبارى وهو ( أسرار العربيــة ) وسيصدر قريباً باذن الله في ( مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ) .

(٢) يسميه بروكلمان في متن تاريخه ( ١/٢٨١ ) : كتاب اللمعة . . . وفي ذيله ( ١/٤٩٥ ) كتاب اللُمَع . . . ويقول إن له مخطوطاً في خزانة سليم آغا رقمه ١٠٧٤ ( وهو الذي نقلت صورته إلينا ) وقد تحدثت عنه مجلة ZDMG ٥٩/٦٨ ومخطوطاً آخر في خزانة أحمد تيمور وقد تحدثت عنه مجلة RAAD ٣/٣٤١ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أولاً حوالي القرن السابع ثم جاء ناسخ آخر في القرن العاشر فأجرى قلمه من جديد على الكثير من سطور المخطوط لتتضح حروفها وتسهل قراءتها . وعلى الصفحة الأولى من هذا الكتاب نجد ما يلي ( من كتب الفقير الى رحمة الله تعالى اسمٰعيل بن خويدار البزاز الاسعردي[1] غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ) . ويبدو أن اسمٰعيل هذا قد استنسخ الكتاب لنفسه ، فقد ذكر في خاتمته قوله : ( ووقع الفراغ من نسخها . . . . غفر الله لكاتبها اسمعيل بن خويدار البزاز الأسودي ) . ولعل ( الأسودي ) هنا خطأ في النسخ صوابه ( الاسعردي ) كما جاء في صفحة الكتاب الأولى .

أما تاريخ كتابة هذا المخطوط فمشكل تعيينه ، فنحن نجد في آخر المخطوط ( ووقع الفراغ من نسختها ثالث شوال سنة تسع ء وستماية ٩١٩ ) وقد كتب شطر الجملة الأول بخط يختلف عن خط الشطر الثاني ، كما نجد عسراً في معرفة المقصود من الكلمتين اللتين تليان ( تسع ) وهما ( ء وستماية ) فالكلمة الثانية يمكن أن تقرأ ( تسماية ) وقد أضيف الرقم ( ٩١٩ ) إلى الجملة ترجيحاً من الناسخ الذي ختم بهذا الرقم الكتاب بعد قوله ( ولوالديه ولجميع المسلمين ) .

الخط واضح في الجملة والكتابة أقرب إلى الصحة . ومن عادة الناسخ تسهيل الهمزات غالباً وإثبات كراسيها ، فهو يكتب ( لبيست ) بدل ( لبئست ) . . . وهو يضع أحياناً نقطتين تحت الألف المقصورة ويهملها تحت الياء . ومن عادته الوصل بين صدر البيت وعجزه في الأغلب . أما الشكل فلا يُركَن اليه دائماً لوقوع كثير من الغلط فيه .

(١) إسْعِرْد : جعلها صاحب القاموس بالكسر وباثبات الألف في أولها ، على ان المتأخرين كشمس الدين سامي صاحب قاموس الأعلام حذفوا الألف . واسعرد لا تزال عامرة إلى اليوم وهي قائمة بالقرب من الحدود السورية الشمالية في الأناضول جنوبي بتليس بقرب دجلة . ومن سكانها عرب كثيرون .

كتب الناسخ اسمعيل على صفحة الكتاب الأولى البيتين التاليين :

إن عيشاً يكون آخره المو ت لعيش معجل التنغيص

رحم الله من قرا خط كفي ودعا لي بالعفو والتمحيص

ثم يلي ذلك خاتم خزانة الكتب التي أودعت اللمعة وعليه : « حسبي الله . قد وقف هذا الكتاب المستطاب لوجه الله الملك الوهاب الحاج سليم آغا وشرط بأن لا يخرج ولا يرهن فمن بدله بعدما سمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه » . وفي تضاعيف ذلك تاريخ الخاتم وهو غير واضح . وفي آخر الورقة الرابعة في الصفحة الثامنة أبيات بالتركية في ذم الدنيا والشكوى من غدر الصديق ، كتبت في عصر متأخر .

* * *

كانت المطولات قد كثرت في القرن الثالث والرابع بعد ازدهار العلم واستبحار الحضارة وانتشار الثقافة . فلما جاء عصر الأنباري عكف العلماء على اختصار هذه المطولات في رسائل موجزة تقتصر على إيراد زبدة ما في تلك المطولات ليسهل حفظها على الناشئين وتخف مؤونتها على الشادين . وكما ألف الأنباري كثيراً من المطولات فقد ألف عدداً وافراً من هذه الرسائل الموجزة ومنها ( كتاب اللمعة في صنعة الشعر ) . وقد جهد في تضمينه كثيراً من الوجوه البلاغية المستعملة في الشعر بأوجز عبارة ، حتى ليبلغ الأمر بالمؤلف أن يجتزئ غالباً باسم الوجه وذكر شاهده عن تعريفه وتحديده . وقد يلقى المطالع في اللمعة عسراً في تبين الوجه من المثال وحده . والمؤلف يغفل اسم قائل البيت إلا الخنساء فقد ذكر اسمها مرتين . وقلما يثبت للوجه الواحد أكثر من مثال واحد . وقد يكتفي من بيت الشاهد بذكر صدره أو بذكر البيت السابق اعتماداً على ذيوع تلك الأبيات ومعرفة الناس لها . على أن أكثر شواهد

اللمعة مشهور مذكور في كتب البلاغة المطوّلة . وهذه الأشعار مستقاة من الشعر الجاهلي والأموي والعباسي . ورواية الأنباري لبعضها قد تختلف أحياناً عما جاء في دواوين أصحابها .

وفي نسخة اللمعة هذه (٤٦) وجهاً من الوجوه البلاغية أطلق عليها الأنباري أسماء تختلف أحياناً عن أسمائها المشهوره بها ، فما يسميه المجانسة مثلاً يسميه البلاغيون المشاكلة ، والإعنات عنده هو لزوم ما لا يلزم عندهم . وهذا أمر يجدر الوقوف عنده للاطلاع على أطوار نشوء علم البلاغة .

وقد ساق الأنبارى هذه الوجوه تباعاً ولم نستطع تبيّن النسق الذي اتبعه في إيرادها وترتيبها [1] ، ولعله لم يتقيد في ذلك بمعيار .

بقيت كلمة واحدة وهي أن المؤلف ينتقل في صدر كتابه من الحمدلة والصلاة على النبي إلى ذكر هذه الوجوه دون توطئة ولا تمهيد ، فهو يقول :

( . . . . انه جواد وهاب فمنها الاستعارة ) ويخيّل إليّ أن في الكلام نقصاً ، اللهم إلا إذا بلغ حرص الأنباري على الايجاز مبلغ حرص ذلك الشاعر الذي أنشد الأمير قصيدة في مدحه أطال فيها الغزل فعاتبه الممدوح ، فجاءه الشاعر في الغد بقصيدة مطلعها :

هل تعرف الدار لأم عمرو     دع ذا وحبر مدحة في نصر

( دمشق )     عبد الهادي هاشم

---

(١) وضعنا لهذه الوجوه أرقاماً متسلسلة لتسهل مراجعتها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٩٦)آ

## كتاب اللُّمْعة في صنعة الشعر

صنَّفه الشيخ الإمام العالم كمال الدين أبو البركات(١) عبد الرحمن ابن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي قدّس الله روحه ونور ضريحه

(٩٦) ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب الأرباب ، والصلوٰة على محمد خيرته سيد الأحباب ، وعلى آله وأصحابه أولي البصائر والألباب ؛ وبعد فهذه لُمعة في صنعة الشعر مُعرّاة عن الإطناب ، مجردة عن الإسهاب ، فالله تعالى ينفع بها إنه جواد وهاب .

فمنهـا

١ ــ الاستعارة : وهي أن تعلّق العبارة على غير ما وُضعت له في أصل اللغة ، كقول الشاعر :

أصبحُ المُدام بريق الغمام وقد زُرّ جيب قميص الظلام

فشابت نواصي الدجى وانثرى عن الصبح سربال ليل التمام

فاستعار للظلام قميصاً ، وللقميص جيباً ؛ واستعار للدجى نواصي ، وللنواصي شيباً ؛ الى غير ذلك من فنون الاستعارة ، وهي أكثر فنون الشعر استعمالاً .

ومنهـا

٢ ــ المطابقة : وهي على ضربين : ذكر المعنى وضدّه ، ورد آخر الكلام على أوله .

(١) وردت هذه الجملة في المخطوط : صنعة الشيخ الإمام العالم كالمال (كذا) أبي البركات . وكلمة (كالمال) كان موضعها بياضاً ثم أضيفت بحبر مختلف .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فذكر المعنى وضدّه كقول الشاعر :

تحيي الروامسُ ربعَها فتُجدّه     بعد البَلا وتميته الأمطـار [1]

فطابق بين الإحياء والإماتة وهما ضدان .

وَرَدُّ آخر الكلام على أوله كقول الشاعر :

جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم     لبئست الخلتان : الجهلُ والجُبُنُ

ومنهـا

٣ ـ المجانسة : وهي على ضربين : مناسبة ومزاوجة .

فالمناسبة كقول الشاعر :

فما زال معقولاً عقالٌ عن الندى     وما زال محبوساً عن المجد حابسُ

والمزاوجة كقول الشاعر :

ألا لا يجهلنْ أحد علينـا     فنجهلَ فوق جهل الجاهلينـا

فاستعار للثاني لفظ الأول وهو الجهل لمزاوجة الكلام ، كقوله تعالى : فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم [2] ؛ فاستعار للثـاني لفظ الأول وهو الاعتداء لمزاوجة الكلام ، وهذا يقع كثيراً في الجزاء فاعلم .

ومنهـا

٤ ـ المشاكلة ، وهي [3] أن تذكر كلمتين سلكهما واحد ومعناهما مختلف ، كقول الشاعر :

---

(١) من معاني الروامس : الرياح التي تغطي آثار الديار بما تثير ، وأجدّ الشيءَ صيره جديداً ، والبَلا بفتح أوله وحذف همزة الآخر هو كالبِلى بكسر أوله من بَليَ الثوب : رثّ .

(٢) البقرة ١٩٤ .

(٣) في المخطوط : وهو .

كادت تساقطني والرحل أن نطقت    حمامة فدعت ساقاً على ساق (٩٧) آ

( فالساق ) الأول ذَكَر القماري ( والساق ) الثاني ساق شجرة والحمامة ها هنا قمرية .

ومنهـا

٥ ــ الموازنة : وهي أن تكون أوزان الكلم متساوية [1] وأجزاؤها متوالية كقول الشاعر :

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا    له حجبات مشرفات على الفال [2]

ومنهـا

٦ ــ الترصيع : وهو أن تكون مقاطع الأجزاء مسجعة متقاسمة النظم ، متعادلة الوزن ، كقول الخنساء :

حامي الحقيقة محمود الخليقة مهـ    ـدي الطريقـة نفاع وضرار [3]

جواب قاصية جزاز ناصيـة    عقـاد ألوية للجيش جرار [4]

---

(١) في المخطوط : اوزازن الكلم مشاداً ؛ ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) ورد البيت في المخطوط بالرسم التالي :

سليم الشظا عبل الشوى اشنج النسا    له حجبـات مشرفات على الفالي

وما أثبتناه رواية اللسان في مادة : شظى .

(٣) لم يرد هذا البيت في مخطوطات ديوان الخنساء التي اعتمدها لويس شيخو في طبع « أنيس الجلساء في ديوان الخنساء » بيروت ١٨٩٦ . ولكنه ورد في العقد الفريد ( ٢٢/٢ ) وفي المثل السائر لابن الأثير في ( الترصيع ) وهو النوع الثالث من المقالة الأولى في الصناعة اللفظية .

(٤) ما أثبته الأنباري هنا هو رواية أبي هلال العسكري في كتاب ( الصناعتين ) ورواية صاحب الحماسة البصرية . أما رواية ديوان الخنساء الذي طبعه شيخو لهذا البيت فهي :

حمال ألوية هبـاط أودية    شهـاد أندية للجيش جرار

ومنهـا

٧ ـ التسميط : وهو أن تكون الأجزاء متوالية مسجوعة أو كالمسجوعة ، كقول الشاعر :

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معـاً

ومنهـا

٨ ـ التصحيف : وهو كقول الشاعر :

فلم يكن المغترّ بالله إذ سرى ليُعجز والمعتزّ بالله طالبـه

ومنهـا

٩ ـ الغلوّ : كقول الشاعر :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحرم
يكاد يمسكه عرفانَ راحتـه ركنُ الحطيم اذا ما جاء يستلم

ومنهـا

١٠ ـ ...... (١) وهي أن يؤكّد معنى لو اقتُصر عليه لكان كافياً ، كقول الشاعر :

وأقبح من قرد وأبخل بالقِرى من الكلب أمسى وهو غرثان أعجف

ومنهـا

١١ ـ ........ (٢) وهو تأكيد التشبيه بالقافية ، كقول الشاعر :

كأن قلوبَ الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشف البالي (٣)

(١) بياض في الأصل .
(٢) شبه بياض في الأصل لم تتبين ما فيه .
(٣) في المخطوط : البال .

ومنهـا

١٢ ـ المقابلة : وهو أن يذكر فيما يوافق ما يوافق وفيما يخالف مايخالف ، كقول الشاعر :

فتى تم فيه ما يسر صديقــه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

ومنهـا

١٣ ـ التكافؤ : وهو قريب من المطابقة كقول الشاعر :

اذا أيقظتك حروب العــدى فنبّهْ لهـا عُمَراً ثم نَمْ

ومنهـا

١٤ ـ القسْم : كقول الشاعر :

بقّيتُ وَفري وانحرفتُ عن العلى ولقيتُ أضيافي بوجه عبوس

إن لم أشنّ على ابن حرب غارة لم تخل يوماً من نهاب نفوس (٩٧) ب

ومنهـا

١٥ ـ صحة التقسيم : وهو أن يذكر جميع أقسام ذلك المعنى لا يغادر منها شيئاً ، كقول الشاعر :

فقال فريق القوم لا وفريقهم بلى وفريق قال ويحك ما ندرى

ومنهـا

١٦ ـ الاستثناء : وهو كقول الشاعر :

ولا عيبَ فينا غير عرق لمعشر كرام وأنا لا نخط على النمل (١)

(١) كـذا في المخطوط ، والثّمْلة : بقية الماء في الحوض . وقد تكون : ... وأنا لا نخط على الرمل .

ومنهـا

١٧ ـ الاستدراك : كقول الشاعر :

أليس قليلاً نظرة إن نظرتُها إليكِ وكلّا ليس منكِ قليل

ومنهـا

١٨ ـ الاشارة : وهي أن تدل الألفاظ اليسيرة على المعاني الكثيرة ، كقول الشاعر :

فظل لنا يوم لذيذ بنعمة فقِل في مَقِيلٍ نحسُهُ متغيب

ومنهـا

١٩ ـ التذييل : وهو ضد الإشارة ، كقول الشاعر :

فدعوا نزالِ فكنتُ أول نازلٍ وعلامَ أركبه إذا لم أنزلِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومنهـا

٢٠ ـ التفريع : كقول الشاعر :

فما نطفة من حب مزن تقاذفت به جنبتا الجوديّ والليل دامس
فلما أقرته اللصـاب تنفست شمال لأعلى مائه فهو قارس [1]
بأطيبَ من فيها وما ذقتُ طعمه ولكنني فيما ترى العين فارس

ومنهـا

٢١ ـ التكرير : كقول الشاعر :

وكادت فزارة تشقى بنـا فأولى فزارة أولى فزارا

(١) في المخطوط : شمال لا علا ماء فهو فاوس . ولعل الصواب ما أثبتناه . واللصاب جمع اللصب وهو الشعب الصغير في الوادي أضيق من اللهب وأوسع من الشعب أو مضيق الوادي .

ومنهـا

٢٢ ــ التكميل : وهو أن تذكر المعنى بجميع ما تتم به صحتـه ، كقول الشاعر :

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى بالحسن عند موفق لقضى لها

فقوله ( عند موفق ) تكميل المعنى .

ومنهـا

٢٣ ــ التوشيح : كقول الشاعر :

وليس الذي حللتـه بمحلَّل وليس الذي حرّمتـه بحرام

ومنهـا

٢٤ ــ المساواة : وهي أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى من غير زيادة ولا نقصان ، كقول الشاعر :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلَم

ومنهـا

٢٥ ــ التبيين : وهو كقول الشاعر :

لقد خنتَ قوماً لو لجأتَ إليهم طريد دم أو حاملاً ثقل مغرم

(٩٨) آ لألفيت فيهم معطياً ومُطاعناً وراءك شزراً بالوشيج المقوّم

بيّن ( حاملاً ثقل مغرم ) بقوله ( معطيـاً ) ، وبيّن قوله ( طريد دم ) بقوله ( مُطاعناً ) .

ومنهـا

٢٦ ــ التتميم : وهو أن يبتدئ بمعنى غير مشروح فيتوهم أن السامع لم يفهمه فيرجع إليه فيكشفه ، كقول الشاعر :

لبست عليهم إذا يغدون أردية إلا جياد قسيّ النبع واللجم

من غير عدم ولكن من تبذلهم للصيد حتى يضج القانص اللحم

فكشف المعنى في البيت الأول بالبيت الثاني وتممه به .

ومنهـا

٢٧ ـ التفويف : وهو من البرد المفوّف ، وهو الذي في وشيه شيء من البياض ، كقول الشاعر :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لها في غيل خفان أشبل

هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

ومنهـا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٨ ـ التعطف : وهو أن يعلق كلمة بمعنى ثم يعيدها ويعلقها بغير ذلك المعنى ، كقول الشاعر :

من يلق يوماً على علاته هرماً يلق السماحة منه والندى خُلُقا

ومنهـا

٢٩ ـ الإرداف : وهو[1] أن تقصد معنى فتعدل عن اللفظ الذي يدل عليه الى لفظ هو تابع له ، كقول الشاعر :

ويضحي فتيتُ المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق[2] عن تفضل

(١) في المخطوط : وهي .

(٢) في المخطوط : لم ينتطق .

ومنها

٣٠ ـ الالتفات : وهو أن يكون في كلام فيعدل عنه (١) الى غيره قبل تمامه ثم يعود إليه فيتمه ، كقول الشاعر :

فلو أن ريحاً بلغت وحي مرسل خفيٍّ لناجيتُ الجنوب على النقب
فقلتُ لها : أدي اليهم تحيتي ولا تخلطيها طال سعدك بالترب

فقوله ( طال سعدك ) التفات .

ومنها

٣١ ـ السلب والايجاب : كقول الشاعر :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

ومنها

٣٢ ـ الكناية والتعريض (٢) : كقول الشاعر :

وأحمر كالديباج أما سماؤه فريا وأما أرضه فمحول

سماؤه أعلاه وأرضه قوائمه . (٩٨) ب

ومنها

٣٣ ـ العكس والتبديل : كقول الشاعر :

واذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

ومنها

٣٤ ـ الجمع بين المختلف والمؤتلف في بيت واحد : كقول الشاعر :

سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونائل ذا إذا صحا واذا سكر

(١) في المخطوط : منه .
(٢) في المخطوط : والتعويض .

ومنها

٣٥ ـ المذهب الكلامي : كقول الشاعر :

ولكنني كنتُ امرءاً لي جانب ... من الأرض فيه مُستراد ومذهب
ملوك وإخوان إذا ما لقيتُهم ... أُحكَّم في أموالهم وأُقرَّب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم ... فلم ترهم في مثل ذلك أذنبوا

يعني كما لا تعدُّ مذنباً مَن مدحك لإحسانك اليه ، فكذلك لا أُعَدُّ مذنباً لمدحي آلَ جفنة لإحسانهم إليَّ [1] .

ومنها

٣٦ ـ الاستطراد : كقول الشاعر :

إن كنتِ عاذلتي فسيري ... نحو العراق ولا تجوري

ومنها

٣٧ ـ براعة الاستهلال : وهو أن يذكر في أول كلامه ما يدل على مراده ، كقول الخنساء :

وما بلغت كف امرىء متناوَلاً ... من المجد إلا والذي نلتَ أطول
وما بلغ المُهدون للناس مدحة ... وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل [2]

ومنها

٣٨ ـ براعة التخلص : كقول الشاعر :

ما زال يلثمني مراشفه ... ويُعلّني الإبريق والقدحُ
حتى استرد الليلُ خلعتَه ... وبدا خلالَ سواده وضح
وبدا الصباح كأنَّ غرتَه ... وجهُ الخليفة حين يُمتَدَح

(١) ما أورده الأنباري من الأبيات مأخوذ من احدى ( اعتذاريات ) النابغة الذبياني إلى النعمان عن مدحه آل جفنة من الغساسنة .

(٢) روي هذان البيتان على وجوه شتى أشار إلى أكثرها شيخو في ديوان ص ١٨٤ .

ومنها

٣٩ ـ تجاهل العارف : كقول الشاعر :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا   ليلاي منكن أم ليلى من البشر

ومنها

٤٠ ـ الهزل الذي يراد به الجد : كقول الشاعر :

اذا ما تميمي أتاك مفاخراً   فقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضب

ومنها

٤١ ـ الزيادة التي يتم بها المعنى : كقول الشاعر :

فسقى ديارك غير مفسدها   صوب[1] الربيع وديمة تهمي

فقوله ( غير مفسدها ) زيادة تم بها المعنى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومنها

٤٢ ـ التنبيه : وهو أن يذكر مثالاً يحترز فيه ثم يتنبه لموضع الأخذ عليه فيستدرك ذلك ، كقول الشاعر :

سأرقم في الماء القراح اليكم   على نأيكم إن كان للماء راقم

كأنه لما قال : سأرقم في الماء القراح ، تنبه على[2] أن قائلاً يقول له : وهل (٩٩)
يرقم على الماء أحد ؟ فاستدرك بقوله : إن كان للماء راقم .

---

(١) في المخطوط : ضرب .

(٢) تنبه على أو للأمر : تفطن له .

ومنهـا

٤٣ ـ الواردة : وهو أن يوافق قولُ شاعر قولَ شاعر آخر في اللفظ والمعنى من غير أن يأخذ أحدهما من الآخر ، كموافقة طرفة قولَ امرئ القيس في قولهما :

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيَّهم

وقد جاء كثيراً في أشعارهم .

ومنهـا

٤٤ ـ المواربة : وهو أن يغير المعنى إلى ما يتخلص به إذا أنكرَ عليه مَن يخاف منه ، كقول عُتبان الحروري :

فمنا حسين والبطين وقعنب ومنا أميرُ المؤمنين شبيبُ

فلما أخذ وأُتي به إلى هشام قال له : أنت القائل ( ومنا أميرُ المؤمنين شبيبُ ) ؟ فقال : إنما قلت ( ومنا ـ أميرَ المؤمنين ـ شبيبُ ) ، يعني بالنصب على النداء المضاف ، كأنه قال : ومنا يا أميرَ المؤمنين ... وتقدير الكلام : ومنا شبيبٌ يا أمير المؤمنين .

ومنهـا

٤٥ ـ الإعنات : وهو لزوم ما لا يلزم . وقد تصدى له جماعة من الشعراء كالمعري [١] وغيره .

---

(١) في المخطوط : كالمزي .

ومنها

٤٦ ـ التضمين : وهو ان لا يتم معنى البيت إلا بالذي بعده . وهو على ضربين :

أحدهما يدخل في صنعة الشعر ، كقول الشاعر :

أقول لصاحبي والعيس تهوي بنا بين المنيفة فالضمار [1]

[ تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار ] [2]

والثاني لا يدخل في صنعة الشعر ، وهو أن تتعلق قافية البيت الاول بالذي بعده ، وهو عيب من عيوب الشعر ، وقد بيّناه في كتابنا ( الموجز في علم القوافي ) والله أعلم .

تمت اللمعة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين [3] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) في المخطوط : فالغمار .

(٢) أغفل المؤلف ايراد البيت الثاني وهو موضع الشاهد اعتماداً على ذيوع هذا البيت وانتشاره . والبيتان للصمة بن عبد الله القشيري .

(٣) في المخطوط بعد هذا ما نصه :

« ووقع الفراغ من نسختها ( كذا في الأصل ) ثالث شوال سنة تسع ء وستماية ( أو تسعماية ) غفر الله لكاتبها اسمعيل بن خويدار البزّاز الاسعردي ( وفي الأصل هنا الاسودّي ) ولوالديه ولجميع المسلمين ، ٩١٩ » .

وقد ألممنا ببحث هذه الخاتمة في مقدمتنا لكتاب اللمعة .

# أبو الفتح بن جني

## وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

— ٤ —

أخلاقه :

عرف ابن جني بطيب الأخلاق والعفة والاخلاص في الود وقد رأينا ذلك جلياً في مرثية الشريف الرضي فيه وحسبك بالشريف شهيداً .

وكان أبو الفتح متصفاً بما يجب أن يتصف به جلّة العلماء من دأب على التحصيل ورحلة في سبيل العلم وملازمة للشيوخ ، وقد رأينا طرفاً من ذلك في سيرته ...

وكان يحب الجد في الأمر كله ويحب أن يبتعد عن سفساف الأمور والمزاح ولكنه كان اذا سمع بالنكتة الطريفة ابتسم لها وهش وطرب ، فقد ذكر ياقوت «أن ابا الحسين القمي حفيد أبي اسحق القمي صاحب ديوان صمصام الدولة لقي ابن جني مرة في الديوان فجعل يتحدث تارة مع أبي الحسين وتارة مع جده أبي اسحق وكانت لابن جني عادة في حديثه بأن يميل شفته ويشير بيده فبقي أبو الحسين القمي شاخصاً ببصره يتعجب منه فقال له ابن جني : مالك يأبا الحسين تحدق النظر إليّ وتكثر التعجب مني ؟ قال : شيء طريف ! قال ما هو ؟ قال شبهت مولاي الشيخ — وهو يتحدث ويقول ببوزه كذا وبيده كذا —

بقرد رأيته اليوم عند صعودي الى دار المملكة وهو على شاطئ دجلة يفعل مثل ما يفعل الشيخ ، فامتعض أبو الفتح وقال : ما هذا القول يا أبا الحسين أعزك الله ومتى رأيتني أمزح فتمزح معي أو أمجن فتمجن بي ؟ فلما رآه أبو الحسين قد حرد واستشاط وغضب ، قال المعذرة أيها الشيخ اليك والى الله تعالى عن أن أشبهك بالقرد وإنما شبهت القرد بك ! فضحك أبو الفتح وقال ما أحسن ما اعتذرت ، وعلم أبو الفتح أنها نادرة تشيع فكان يتحدث بها هو دائماً [1] » .

ولأبي الحسين هذا نكت أخرى مع أبي الفتح ذكرها ياقوت في ترجمته .

وكان أبو الفتح كغيره من ذوي الفضل كثير الحساد ولكنه كان يهزأ بهم وقد ضمن قصيدته البائية [2] طرفاً من أخباره معهم .

وفي هذه القصيدة قد افتخر أبو الفتح برومیته وهزيء بمن عابه بها فقال :

فان أصبح بلا نسب ... فعلمي في الورى نسبي
على أني أؤول الى ... قروم سادة نجب
قياصرة اذا نطقوا ... ارم الدهر ذو الخطب
أولاك دعا النبي لهم ... كفى شرفاً دعاء نبي [3]
وإما فاتني نشب ... كفاني ذاك من نشب

كما ضمنها طرفاً كثيراً من مناقبه ومزاياه رحمه الله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) ياقوت ج ٥ ص ١٦ ، ١٧ .

(٢) انظر القصيدة في ياقوت ج ٥ ص ١٩ .

(٣) يشير بذلك الى الخبر المروي عن الرسول (ﷺ) انه لما بلغه من عمل قيصر الروم بكتابه الذي كتبه اليه يدعوه الى الاسلام قال ( ثبت الله ملكه ) كما في فتح الباري لشرح صحيح البخاري للعسقلاني ٤٢/١ طبعة بولاق .

أدبه وعلمه :

عرف أبو الفتح بالعربية وبخاصة علم التصريف ، ولم يعرف بين الناس بأدبه وشعره ، وفي الحقيقة إنه كان كاتباً من خير كتاب زمانه وليس أدل على ذلك من توليه ديوان الإنشاء لسيف الدولة الحمداني ولعضد الدولة الديلمي ويكفيه فخراً قول أبي الطيب المتنبي فيه : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس » وكان اذا سئل عن معاني شعره قال : « عليكم بأبي الفتح فانه أعلم مني بشعري » .

ولقد أطنب فيه أبو الحسن الباخرزي في كتابه ( دمية القصر ) وذكره في باب الأئمة من الأدباء وقال فيه « .. ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ما له ، ولا سيما في علم الإعراب فقد وقع عليها من تمرة الغراب [1] ، ومن تأمل مصنفاته ، وقف على بعض صفاته ـ فوربي ـ إنه كشف الغطاء عن شعره ، وما كنت أعلم أنه ينظم القريض أو يسيغ ذلك الجريض حتى قرأت له مرثيته في المتنبي وأولها :

غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوّحت بعد ريّ دوحة الكتب »[2]

وقد نقل هذا الكلام كله ياقوت في ترجمة أبي الفتح وزاد عليه قوله انه من « أحذق أهل الأدب ، وأعلمهم بالنحو والتصريف » [3] . وقد حفظت لنا كتب الأدب طرفاً من شعر أبي الفتح وهو شعر حسن جيد يدل على ذوق أدبي رفيع فمن ذلك قصيدته البائية التي تربو على سبعين بيتاً والتي أولها :

وحلو شمائل الأدب منيف مراتب الحسب

---

(١) من أمثال العرب ( وجد تمرة الغراب ) أي وجد أفضل شيء لأن الغراب لا يقع إلا على أفضل تمرات النخلة .

(٢) الدمية طبع حلب ص ٢٩٧ .

(٣) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٧ .

وهي قصيدة جد حسنة رواها كلها ياقوت في المعجم . ومن ذلك أيضاً مرثيته في أبي الطيب المتنبي وقد رواها الباخرزي في الدمية وياقوت في المعجم وهي من عيون المراثي [١] . ومن ذلك أبيات منثورة في كتب الأدب كيتيمة الدهر للثعالبي ، وخاص الخاص له أيضاً وغيرهما من الكتب الأدبية ، واليك طرفاً من شعره ، قال في غلام :

غزالٌ غـيرُ وحشيٍّ حكى الوحشيُّ مقلتَه
رآه الورد يجني الور د فاستكساه حلّته
وشمّ بأنفـه الريحا ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريحـه الصهبا ء فاختلسته نكهته [٢]

وقال معاتباً صديقاً له عابه بأنه أعور :

صدودك عني ولا ذنب لي يدل على نيـة فاسدة
فقد ـ وحيانك ـ مما بكيتُ خشيتُ على عيني الواحدة
ولولا مخافة أن لا أراك لما كان في تركها فائدة [٣]

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال يرثي أبا الطيب المتنبي من قصيدة طويلة رائعة :

غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوّحت بعد ريّ دوحة الأدب
مازلتَ تصحبُ في الجُلّى إذا انشعبت قلباً جميعاً وعزماً غير منشعب
وقد حلبتَ لعمري الدهر أشطره تخطو بهمة لا وانٍ ولا نصب

وقال أيضاً وهو من الشعر العاطفي الجيد :

(١) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٨ . ويتيمة الدهر ج ١ ص ٨٩ .
(٢) المعجم لياقوت ج ٥ ص ١٨ .
(٣) المعجم لياقوت ج ٥ ص ١٨ وابن خلكان ج ١ ص ٣١٣ . وقيل ان هذه الأبيات الثلاثة ليست له وانما هي لأبي منصور الديلمي وهو غير صحيح .

رأيت محاسن ضحك الربيع أظال عليها بكاء السحاب
وقد ضحك الشيب في لمتي فلم لا أبكي ربيع الشباب ؟
أأشرب في الكأس كلا وحاشا لأبصره في صفاء الشراب [١]

وله أبيات جيدة كثيرة أخرى متفرقة [٢] .

هذا وقد ذهب الزميل الصديق الأستاذ القصاص في رسالته النفيسة التي كتبها عن ابن جني مذهباً مخالفاً لما ذكرناه فحمل على شعر أبي الفتح وقال [ انه شعر ليست له قيمة تذكر [٣] ] واعتمد على ما ذكره ابن الأثير في تاريخه حيث يقول [ وله شعر بارد ] ولا ندري على ماذا اعتمد ابن الأثير في حكمه الظالم هذا ، وليس غريباً أن يصدر ابن الأثير هذا الحكم القاسي على ابن جني فانه معروف باستهانته بأقوال الناس وباستخفافه بآثارهم ، وكتابه مملوء بأمثال هذا محشو بالدعاوى الكثيرة والغرور . وليت ابن الأثير برهن دعواه فأبان لنا عن مواطن البرودة في شعر أبي الفتح كما فعل الثعالبي حين أشاد بأدبه وبشعره فساق على ذلك الشواهد والأمثال [٤] . ثم ان زميلنا القصاص يفرط حين يحمل تلك الحملة القوية على ذوق أبي الفتح في البلاغة والنقد ويعتمد في ذلك على قول الواحدي «إنه اذا تكلم في المعاني تبلد حماره ولقد استهدف في كتاب الفسر غرضاً للمطاعن إذ قد حشاه بالشواهد الكثيرة التي لا حاجة بها» . وكان ينبغي على الزميل ألا يقبل قول الواحدي المعروف بالحمل على ابن جني وانتقاصه وهذا شرح ابن جني موجود شاهداً على مكانة أبي الفتح ومقدار فهمه

---

(١) معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٠ .
(٢) انظر اليتيمة ج ١ ص ٧٧ .
(٣) ابن جني وفلسفته اللغوية ص ١٦ .
(٤) انظر اليتيمة ج ١ ص ٧٧ فما بعدها .

الشعر المتنبي وهو في رأينا أفضل شرح للمتنبي وأجدر من يستطيع أن يفهمه كما قال أبو الطيب عنه .

ولم يكن ابن جني محسناً قول الشعر فحسب بل كان مجيداً في النثر أيضاً وليس أدل على ذلك من هذه اللغة الحلوة وهذا الأسلوب المبين الذي نراه في كتبه العلمية كسر الصناعة والخصائص ؛ فأنا لا أعرف نحوياً أو صرفياً أو بلاغياً كتب النحو والصرف والبلاغة بلغة كلها سلاسة وعذوبة وكلها جمال ولذة بأسلوب فني رائع إلا الإمام أبا الفتح بن جني وإلا الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمهما الله .

ولابن جني عدا النثر العلمي المبين الذي نجده في كتبه رسائلُ فنية وخطب كثيرة حفظ لنا الدهر بعضها ، من ذلك خطبة نكاح ذكرها ياقوت [١] ، وان الذي يقرأ هذه الخطبة ويرى قوة ابن جني في الوصف وحسن السبك ليؤمن بأن هذا الإمام قد ملك عنان الشعر والنثر معاً ، ولو أتيح لنا أن نظفر برسائله الديوانية مجموعة لرأينا أدباً جماً وفصاحة بارعة وعلماً غزيراً . وبعد فقد رأينا أن ابن جني على الرغم من سيطرة الروح العلمية عليه كان شاعراً وناثراً وليس هذا بغريب فإن القرن الرابع قد خلق رجالاً قالوا الشعر وبرعوا فيه ثم كان لهم من وراء ذلك نثر رائع وثقافة واسعة في اللغة والفلسفة والفقه وغيرهما من علوم ذلك العصر .

ولعل الزميل القصاص يتراجع عن رأيه في شعر ابن جني وأدبه حين يقول [ وقد يحسن بنا في هـذه المناسبة أن نشرح بعض الشيء على هذه الظاهرة التي قد تبدو غريبة عجيبة وهي اجتماع الشعر وعلم اللغة لشخص واحد .... أما اجتماعها لكثير من أبناء هذا الزمن والزمن الذي تقدمه فيقوم ويفهم على صور تلك الحقيقة التي وجه اليها الأنظار أستاذنا الجليل طه حسين بك : فالشعر

---

(١) انظرها في ياقوت ، ارشاد الأريب ج ٥ ص ٢١ .

الحسّي والانفعالي الذي كان في العصور السابقة حلّ محلّه اليوم شعر آخر يخدم التفكير ويقوم على ثمار التأمل العقلي ٠٠٠٠ فلا يأخذنا العجب إذن أن نرى لابن جني شعراً أو نجد شاعراً فحلاً كصديقه المتنبي عالماً لغوياً ] (١) ٠ أفلا ترى معي أن السيد القصاص قد تراجع هنا عن رأيه حين قال : إنه لا قيمة تذكر لشعر أبي الفتح ٠

أما علمه فقد كان مضرب الأمثال حتى عدّ إماماً في علوم القراءات والصرف والنحو والعروض والقوافي والشعر واللغة والأدب والبلاغة ٠ وله في هذا كله آثار وتصانيف أبرّ بها على المتقدمين وأعجز المتأخرين ولم يكن في شيء من علومه أتم وأكمل منه في التصريف ، ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاماً منه (٢) ٠

هكذا يقول ياقوت ، وياقوت حجة فيما يقول ٠ فقد قرأ كتب أبي الفتح وسبر غورها وعرف ما فيها من علم ، وأدب ، وبحث وتمحيص ٠

ظل أبو الفتح دائباً على تحصيل العلم وبخاصة العربية ، وكان اذا أشكل عليه أمر - على جلالة قدره - كتب الى العلماء في البلاد الاسلامية واستفتاهم أو رحل اليهم ٠ فقد ذكر في كتابه ( سر الصناعة ) أنه كتب الى شيخه أبي علي الفارسي في حلب يستفتيه عن مسألة وهاك نصّ عبارته « وكتب اليّ أبو علي من حلب في جواب شيء سألته فقال : وقد ذهب أحد علمائنا إلى أن الهاء من ( هناه ) إنما لحقت في الوقف لخفاء الألف كما تلحق بعد ألف الندبة في نحو وازيداه ثم إنها شبهت بالهاء الأصلية فحرّكت فقالوا يا هناهُ ، ولم يسم أبو علي هذا العالم فلما انحدرت اليه في مدينة السلام وقرأت عليه نوادر أبي زيد نظرت

(١) ابن جني وفلسفته ص ١٧ ٠
(٢) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٦ ٠

واذا أبو زيد هو صاحب هذا القول وهذا من أبي زيد غير مرضي عند الجماعة ...[١]» فهل بعد هذا تحقيق أو حرص على طلب المعرفة الصحيحة ؟ .

ثم انه ليس من شك في أن أبا الفتح على الرغم من انتسابه الى المدرسة البصرية لم يكن مقلداً غيره من أئمة البصرة أو الكوفة أو بغداد ، فانه كان صاحب مذهب مستقل انفرد به وكان يعمل فكره في المسألة ويناقشها بعقله الواسع وتفكيره الصحيح ويستقصي أقوال الفصحاء والأعراب ثم يصدر حكمه فيها بعد التمحيص والتدقيق ، وما أجدرنا أن نسمي كتب ابن جني في الصرف والنحو بكتب (فلسفة العربية) وما أجدرها أن توصف بما وصفت به كتب الجاحظ من أنها تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً ، فإنها تعلم العقل والأدب ، وأسرار العربية وأقيستها . وكتب أبي الفتح هي الكنز الدفين وهي أنفع المصادر العربية القديمة لفهم حقيقة النحو العربي ، وتفهم أسراره ، والتعرف الى ذلك الميزان العقلي الراجح الذي كان يزن به النحاة آراءهم ؛ وكتب ابن جني في رأي الأستاذ بروكلمان « مملوءة بدرس صحيح مفيد في تعرف أسرار اللغة العربية وفلسفتها ، وإن تحليل هذه الكتب وتفهمها لمن خير ما ينبغي أن ينصرف اليه العلماء في العصر الحاضر لفهم تاريخ النحو ، كما أن دراسة هذه الآثارة التي خلفها دراسة عميقة لما نحن في أشد الحاجة اليه[٢] » .

ويقول الأستاذ ميتس « ... وكما ان كتب اللغة التي ألفت بعد الجوهري كلها عيال عليه ، فكذلك كتب علم الاشتقاق وفقه اللغة ومعرفة أسرار العربية فإنها مما ابتكر الإمام ابن جني الذي فهم أسرار العربية وفلسفتها وبخاصة الاشتقاق ، وإنه لمن المؤسف أن لا يجيء بعد ابن جني عالم يتمم ما بدأ به مع أن كل الذين جاءوا من بعده قد استفادوا من كتبه ![٣] » .

---

(١) سر الصناعة ص ٤٤٥ من مخطوطتنا .
(٢) تاريخ الآداب العربية ج ١ ص ١٢٥ ، ١٢٦ .
(٣) ميتس Mez ص ٢٢٧ .

والحق أن ابن جني كان آية الآيات في علمه بأسرار العربية من نحو وصرف ولغة وإنك إذا قرأت ( سر الصناعة ) أو ( الخصائص ) ، أو ( التصريف الملوكي ) رأيت نمطاً من البحث والتفكير وأسلوباً في معالجة القضايا لا تجده في مؤلف غيره . فانه مزج العلم الصحيح والرواية الواسعة بالعقل السليم والتفكير المستقيم فأنتج هذه الآثار والبحوث المفيدة .

لم يكن ابن جني - في أبحاثه ودروسه - يكتفي بأن يورد ما سمعه من أفواه الشيوخ أو ما رواه عن الفصحاء من الأعراب وإنما كان كثير العناية بالبحث والتدقيق الشخصي فيما يعرض له من آراء العلماء الذين سبقوه . وانك لترى أثر هذا واضحاً في كتبه ، وإليك طرفاً من ذلك وهو رأيه فيما قال النحاة في قولهم «هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ» :

« إن هذا ليس شاذاً ولا غلطاً من العرب كما يزعم النحاة وإنما هو من قبيل حذف المضاف وإن في القرآن لنيفاً على ألف موضع منه وان تقدير هذا الكلام «هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ جُحْرُه» وإن ( خرباً ) وصف ( للجحر ) كما تقول مررت برجل قائم أبوه [١] » .

فأنت ترى من هذا شدة اعتداده على بحثه وتفكيره الشخصي ، قال في الخصائص « .. واعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع ، - يعني تفهم أسرار اللغة - فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي ، مختلفة جهات التغول على فكري ، وذلك انني اذا تأملتُ حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ، وجدتُ فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة ما يملك عليَّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غَلْوَة السِّحر ، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابُنا رحمهم الله ، ومنه ما حذوتُه على أمثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماده ، صحةَ ما وفّقوا لتقديمه منه ولطف ما أُسعِدوا به .. [٢] »

(١) الخصائص ج ١ ص ١٩٨ من الطبعة الأولى .
(٢) الخصائص ج ١ ص ٤٥ الطبعة الأولى .

وابن جني إذا ما أخذ يناقش بعض المسائل العلمية ناقشها بأسلوب ساحر ومنطق رائع حتى انك لتظن ان الذي كتب هذا الفصل هو إمام من أئمة البيان المعاصرين ، وكتاباه (الخصائص) و (الصناعة) مملوءان بالأمثلة على ما أقول ولا بأس من أن أورد مثالاً واحداً . قال في الخصائص في (باب ذكر علل العربية) :

« ... فإن قلت فقد تجد في اللغة أشياء كثيرة غير محصاة ولا محصّلة ، لا تعرف لها سبباً ، ولا تجد الى الإحاطة بعللها مذهباً ، فمن ذلك إهمال ما أهمل ، وليس في القياس ما يدعو إلى إهماله ، وهذا أوسع من أن يحوج الى ذكر طرف منه ، ومنه الاقتصار في بعض الأصول على بعض المُثُل ، ولا نعلم قياساً يدعو الى تركه ، نحو امتناعهم أن يأتوا في الرباعي بمثال فعلُلٍ أو فعلِلٍ أو فَعَلٍ أو فُعُلٍ ونحو ذلك . وكذلك اقتصارهم في الخماسي على الأمثلة الأربعة دون غيرها مما تجوّزه القسمة ، ومنه أن عدلوا فُعَلاً عن فاعل في ألفاظ محفوظة وهي ثُعَل ، وزُحَل ، وغُدَر ، وعُمَر ، وزُفَر ، وجُشَم ، وقُثَم ، مما يقلّ تعداده ولم يعدلوا في نحو مالك وحاتم وخالد وغير ذلك .... ولسنا نعرف سبباً أوجب هذا العدل في هذه الأسماء التي أريناكها دون غيرها ، فإن كنت تعرفه فهاته ، فان قلت ان العدل ضرب من التصرف وفيه إخراج للأصل عن بابه الى الفرع وما كانت هذه حاله أقنع منه البعضُ ، ولم يجب أن يشيع في الكل ؟ قيل فهنا سلّمنا بذلك لك تسليم نظر فمن لك بالإجابة عن قولنا ـ فهلاّ جاء هذا العدل في حاتم ومالك وخالد وصالح ونحوها دون ثاعل وزاحل وغادر وعامر وزافر وجاشم وقاثم ؟ ألك ههنا نَفَقٌ فتسلُكَه أو مرتفقٌ فتتورّكه وهل لك غير أن تخلد الى حيرة الإجبال وتُخمد نار الفكر ، حالاً على حال ، ولهذا ألف نظير بل ألوف كثيرة ندع الإطالة بأيسر اليسير منها [1] » .

(١) الخصائص ج ١ ص ٥٠ ، ٥١ الطبعة الأولى .

هذا فصل من كلام طويل أورده ابن جني على لسان خصمه القائل بتفضيل أدلة الفقهاء على أدلة النحويين . ثم يقفي على ذلك بكلام فيهدم ما بناه خصمه في منطق سليم وقول ساحر وعلم غزير ولولا خوف الإطالة لنقلت طرفاً آخر من كلامه .

وقد كان ابن جني شديد الحرص على أن يجعل للنحو أصولاً كأصول الفقه وأصول التوحيد وقد بذل في ذلك جهداً عظيماً وخصوصاً في كتابه ( الخصائص ) وقد وفق الى تشييد جزء غير يسير من أركان هذا العلم ، ولكن أحداً من العلماء لم يتمم عمله ، غير أن السيوطي جلال الدين قد فعل شيئاً يسيراً من ذلك في كتابه ( الأشباه والنظائر ) ، ولكنه قطرة الى جانب بحر أبي الفتح الذي يقول في مقدمة كتابه هذا :

« ... كتاب لم أزل على فارط الحال وتقادم الوقت ملاحظاً له ، عاكف الفكر عليه ، منجذب الرأي والروية اليه وادا أن أجد مهملاً أصله به ، أو خللاً أرتقه بعمله ، والوقت يزداد بنواديه ضيقاً ، ولا ينهج لي الى الابتداء طريقاً ، هذا مع إعظامي له ، واعتصامي بالأسباب المنتاطة به ، واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنف في علم العرب وأذهبه في طريق القياس والنظر ، وأعوده عليه بالحيطة والصون ، وآخذه له من حصة التوقير والأون [١] ، وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الإتقان والصنعة [٢] » .

فهذا يدل على أن أبا الفتح قد انصرف الى التأليف في هذا الصنف من البحث الذي ملك عليه مشاعره لاعتقاده أنه من خير ما ينبغي أن يبحث عنه

(١) الاون : الدعة والسكينة .
(٢) الخصائص الطبعة الأولى ٢ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في لغة العرب لتفهم أسرارها ، ومعرفة بعد نظر أهل اللغة العربية ومطابقة كلامهم لأقيسة ونواميس مقررة . وقد صرح بهذا المعنى في غير موضع من كتبه ، ومن ذلك ما ذكره في ( الرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن احكام العلة ) : « اعلم أن هذا الموضع هو الذي يتعسف بأكثر من ترى ، وذلك أنه لا يعرف أغراض القوم [ يعني أهل القياس والتعليل ] فيرى لذلك أن ما أوردوه من العلة ضعيف واهٍ ساقط غير متعال [1] » .

وما كتاب ( الخصائص ) و ( سر الصناعة ) و ( المذكر والمؤنث ) إلا مصنفات وضعها لتبين كيف أن هذه اللغة الشريفة منضبطة القواعد وقد عانى ذلك بنفسه في مؤلفاته فضبط قوانين هذه اللغة وجمع شواردها وهو يرى - في شيء من الغلو - أن أحداً من النحاة قبله لم يفعل ذلك ؛ قال في الخصائص : « .. وذلك أنا لم نر أحداً من علماء البلدين - البصرة والكوفة - تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه » [2] وإن كتاب الأصول لأبي بكر محمد بن السرى السراج ( - ٣١٦ ) لم يلمم فيه إلا حرفاً أو حرفين وقد تعلق عليه به [3] . وأن أبا الحسن علي بن سليمان الأخفش ( - ٣١٥ ) وإن كان قد صنف في شيء من المقاييس إلا أنه موجز ليس فيه غناء وان ما كتبه أبو الحسن كتيب صغير اذا قيس بكتاب ابن جني [4] .

والحق أن أبا الفتح قد سد ثلمة كبيرة ورتق فتقاً عظيماً بهذا العمل الجليل وهذه المحاولات الطيبة التي حاولها في كتبه لضبط قواعد العربية وتعليلها تعليلاً

(١) الخصائص ج ١ ص ١٩١ من الطبعة الأولى .

(٢) مقدمة الخصائص ج ١ ص ٣ الطبعة الأولى .

(٣) ذكر من ترجم ابن السراج مثل ياقوت في معجم الأدباء ١٨ / ٢ من الطبعة الحديثة انه الف كتابين في أصول النحو أحدهما كبير والآخر صغير ، ولكنهما لم يصلا الى أيدينا .

(٤) انظر بغية الوعاة للسيوطي ٣٣٨ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أدعى فيه أن علل النحاة والصرفيين أقرب الى علل المناطقة والمتكلمين ، وان علل الفقهاء لا تُقاس اليها ، لأن علل النحاة مرجعها الحس ولأنهم يحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس ، وليس كذلك حديث علل الفقه ، وذلك انها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام ، ووجوهُ الحكمة فيها خفية عنا .... ألا ترى أن ترتيب مناسك الحج ، وفرائض الطهور ، والصلاة ، والطلاق ، وغير ذلك إنما يُرجع في وجوبه الى ورود الأمر بعمله ولا تعرف علة جعل الصلوات في اليوم والليلة خمساً دون غيرها من العدد ، ولا يُعلم أيضاً حال الحكمة والمصلحة في عدد الركعات ، ولا في اختلاف ما فيها من التسبيح والتلاوات الى غير ذلك مما يطول ذكره ... وليس كذلك علل النحاة وسأذكر طرفاً من ذلك لتصح الحال به .

قال أبو اسحق في رفع الفاعل ونصب المفعول ، إنما فعل ذلك للفرق بينهما ، ثم سأل نفسه فقال : فإن قيل فهلا عُكست الحال فكانت فرقاً أيضاً ؟ قيل : الذي فعلوه أحزم ، وذلك أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد وقد يكون له مفعولات كثيرة فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرته ، وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يستخفون ؛ فجرى ذلك في وجوبه ووضوح أمره مجرى شكر المنعم وذم المسيء في انطواء الأنفس عليه (١) .

وأبو الفتح كان يرى أن العرب ما كانت تلقي الكلام إلقاء دون أنْ تفهمه وأنها كانت تريد من العلل والأغراض ما نسبه اليها النحاة وحملوه عليها . ولذلك أُطّردت في كلامهم القواعد ولم تشذّ من الرفع في موضع الفاعلية ، والنصب في موضع المفعولية ، والجر بحروف الجر - والجزم بحروف الجزم ، والنصب بحروف النصب ... وغير ذلك من أحكام التثنية والجمع والإضافة والتصغير

(١) الخصائص ج ١ ص ٤٦ ، ٤٧ فما بعدها الطبعة الأولى .

( التحقير ) والنسب وغير ذلك مما يطول تعداده وشرحه ( فهل يحسن ـ بعد هذا كله ـ بذي لب أن يعتقد أن هذا كله اتفاق وقع ، وتوارد اتجه [1] ؟ .

وهو يعقد لهذا الأمر فصلاً عنوانه « إن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه اليها وحملناه عليها » ويقول في هذا الفصل :

« اعلم أن هذا موضع في تثبيته وتمكينه منفعة ظاهرة ، وللنفس به مُسكة وعصمة ، لأن فيه تصحيح ما ندّعيه على العرب ، من أنها أرادت كذا لكذا ، وفعلت كذا لكذا وهو أحزم لها وأجمل بها ، وأدلّ على الحكمة المنسوبة اليها من أن تكون تكلّفت ما تكلفته من استمرارها على وتيرة واحدة وتقرّيها منهجاً واحداً تراعيه وتلاحظه ، وتتحمل لذلك مشقة وكُلفة ، وتعتذر من تقصير إن جرى وقتاً منها في شيء منه ، وليس يجوز أن يكون ذلك كله في كل لغة لهم عند كل قوم منهم ، حتى لا يختلف ولا ينتقض على كثرتهم وسعة بلادهم وطول عهد زمان هذه اللغة لهم .. حتى لم يختلف فيه اثنان ... إلا وهم له مريدون وبسياقه على أوضاعهم فيه معنيون [2] » .

أما بعد فنحن إزاء آراء أبي الفتح هذه أمام آراء فيلسوف كبير عرف أسرار اللغة ودقائقها حتى ضرب الناس بذلك الأمثال [3] ولا غرو فقد تلقى أبو الفتح اللغة العربية من شيوخ فحول وسبر غورها بنفسه فأحبها وأعجب بها فقد كان لا يمرّ بدقيقة من دقائقها إلاّ أظهر إعجابه بها كقوله في الفصل الجميل الذي كتبه في البحث عن مادتي [ ق و ل ] و [ ك ل م ] : « ... فهذه أحكام هذين الأصلين على تصرفها وتقلب حروفها . فهذا أمر قدّمناه أمام القول على الفرق بين ( الكلام ) و ( القول ) ليُرى منه غورُ هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، ويعجب من وسيع مذاهبها وبديع ما أمد به واضعها ومُبدئها [4] » ،

(١) الخصائص ج ١ ص ٢٤٦ الطبعة الأولى .
(٢) الخصائص ج ١ ص ٢٤٦ الطبعة الأولى .
(٣) انظر كلام ملك النحاة بهذا الخصوص في البغية ص ٣٢٠ .
(٤) الخصائص ج ١ ص ١٥ الطبعة الأولى .

وله في هذا المعنى أقوال كثيرة تدل على شدة إعجابه بأسرار اللغة العربية، ولعل اطلاعه الواسع على هذه الأسرار وتفهمه لحقيقتها وانفراده بذلك جعله شديد الإعجاب بنفسه كثير الاعتداد بها وبما يكشفه من قواعد وأصول، وإنك لترى أثر الإعجاب واضحاً كل الوضوح في كثير من كتبه كقوله : «وما علمت أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الاشباع ومن وجد قولاً قاله والله يعين على الصواب بقدرته» (١) .

وقال «.. وقد استقصيت هذا وغيره من لطيف التصريف في كتابي المصنف لتفسير تصريف أبي عثمان رحمه الله تعالى وأنبت بالقول هناك على أسرار هذا العلم ودفائنه (٢) .

وقال : «... وهو غريب منه ما في أيدي أكثر الناس، ومنه ما أخرجه لي البحث عنه وطول المطالبة له (٣)» .

ونحن إذا رحنا نتتبع أمثال هذه الأقوال في كتبه جئنا بالكثير الوافر، وحق له أن يعجب بنفسه، فقد بذل في إكتناه أسرار هذا العلم وكشف المخبأ منه جهوداً كثيرة . وقرر منذ ألف عام كثيراً من القواعد التي أقرها اليوم المستشرقون وعلماء الأصوات ومن ذلك قوله ان أصل الكلمات حين نشأتها هو أسماء أصوات ثم لما تقادم الزمن واستطاع الإنسان أن يرتجل أسماء الأعيان، صارت أسماء الأعيان أصولاً للاشتقاق، وهذه نظرة صائبة وفكرة صحيحة جزاه الله عن هذه اللغة الشريفة جزاء وفاق حبه لها وإخلاصه لخدمتها .

( يتبع ) محمد أسعد طلس

(١) سر الصناعة ص ٥٠ من مخطوطتنا .
(٢) سر الصناعة ص ٨٢ من مخطوطتنا .
(٣) المصدر نفسه ص ٩٤ .

# التعريف والنقد

## الصحافة والأدب في مصر

محاضرات في صلة الصحافة بالأدب ، ألقاها الدكتور عبد اللطيف حمزة ، في معهد الدراسات العربية العالية ، التابع لجامعة الدول العربية ، وطبعها المعهد في ١٦٦ صفحة .

وموضوعها تلخيص النهضة الأدبية والصحافية منذ القرن الماضي ، وتأثير الصحافة في الأدب . فقد قال المحاضر الفاضل في مقدمة الكتاب إن الأدب المصري الحديث مدين للصحافة المصرية بنشأته ونموه وذيوعه ، وعلى هذا تكون الصحافة المصرية صانعة الأدب المصري الحديث .

بدأ المحاضر يتحدث عن الفرق بين الأديب والصحافي ، وبين فنون الأدب وفنون الصحافة ، وبين لغة الأدب ولغة الصحافة . ثم انتقل الى الكلام على بيئة الأدب والصحافة منذ حملة نابليون على مصر ، فذكر تأثير هذه الحملة ، وظهور محمد علي وجمال الدين الأفغاني وغيرهما ، وتأثير السوريين الأول في الأدب والصحافة والمسرح ، والجرائد المصرية ورجالها في القرن الماضي ، والمبادئ السياسية التي كانت سائدة في أوائل القرن الحاضر ، وأهمها مناهضة الاحتلال الإنكليزي مع التعلق بدولة الخلافة ، وهو رأي الزعيم الفقيد مصطفى كامل ؛ ومناهضة ذلك الاحتلال مع الدعوة الى القومية المصرية ، دون الاعتماد في طلب الاستقلال على الدولة « العلية » ولا على غيرها ، وهو رأي العلامة أحمد لطفي السيد محرر « الجريدة » في تلك الأيام ، ورئيس مجمع اللغة العربية في أيامنا هذه .

وسياسة مربي الجيل أحمد لطفي السيد ـ مد الله في عمره ـ كانت صحيحة لا غبار عليها ، لأن الشعوب العربية كانت كلها أو جلها ترزح تحت نير الأجانب ، فلا فائدة منها لمصر ؛ أما الدولة العثمانية فكانت في حاجة الى من يأخذ بيدها . وقد أثبتت الحوادث بعدئذ ، ولا سيما قبيل الحرب الكبرى الأولى ، وفي أثنائها ، ان استعمار هذه الدولة في البلاد العربية فاق استعمار الدول الأوربية بفظائعه وبتنكره لأبسط حقوق العرب . وعندي على ذلك أدلة قاطعة تملأ كتاباً برأسه .

وتكلم المحاضر الفاضل على القصة المصرية ونشأتها في القرن الماضي ، ومعالجتها للشؤون الاجتماعية خاصةً ، وذكر المجلات المصرية واللبنانية التي أنشئت في تلك الأيام ، وتأثيرها وتأثير غيرها من المقدمات التي أدت الى ظهور القصة .

ثم ذكر طلائع القصص المصري ، وسرد شيئاً منها ، وانتهى الى قوله : « أفليس في هذا كله ما يدل على ان القصة الفنية في مصر وغيرها من الأقطار العربية نشأت أول ما نشأت في أحضان الصحافة، وبأقلام الرجال المشتغلين بالصحافة؟ »

وعلى هذا المنوال تكلم المحاضر على القصيدة الشعرية وعلاقتها بالصحافة المصرية ، ولا سيما القصائد الاجتماعية ، وقصائد الحركة الوطنية . ثم بحث في تطور المقالة في اتجاهاتها الثقافية والاجتماعية والسياسية .

وأنهى هذه المحاضرات بالكلام على مستقبل الأدب في ظل الصحافة ، فقايس بين الكتاب والجريدة مقايسة تدل على علم واسع ورأي نضيج . وقد خلص الى أن الصحافة ـ على فوائدها ـ « ليست نعمة على الأدب ولا على الفكر ؛ وان الكتاب لا الجريدة هو الأقدر على تهيئة الأمم للتقدم الذي تنشده ، واعداد الأجيال المستقبلة للنهوض بها الى المستوى الذي تتطلبه » .

والخلاصة ان هذه المحاضرات الثمينة تلخيص مانع ومفيد للنهضة الأدبية والصحافية في مصر ، ولتأثير الصحافة في الأدب الحديث .

ومن المؤسف اشتمال المحاضرات على أغلاط مطبعية كثيرة ، حتى في أبيات شعرية لشوقي وحافظ استشهد بها المحاضر . فقد أحصيت لها وحدها خمسة وعشرين بيتاً مشوهاً . وكلها أبيات مشهورة نحفظها عن ظهر قلب منذ كنا نتعلم في المدارس . فكيف يجيز المحاضر أو المعهد أن يُعبث بها وبأشباهها في مثل هذه المحاضرات النفيسة .

## اللهجات وأسلوب دراستها

وهي محاضرات ألقاها الأستاذ الفاضل الدكتور أنيس فريحة على قسم من طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة ، وطبعها المعهد المذكور في (٩١) صفحة .

وقد خص الأستاذ فيها موضوعين أساسيين وهما علم اللغات ودراسة اللهجات ؛ وبحث عن صلتها بلغتنا العربية ، ثم تكلم على الأسس التي قامت عليها اللهجة اللبنانية ، وذكر عبارات عامية لبنانية منثورة ومنظومة .

وفي المحاضرات آراء طريفة تفيد الذين يعنون بمواضيع اللغة العربية . وفيها تشاؤم من صعوبة الفصحى ، وظنون بفوائد العامية لا نعتقد بصحتها .

ولنترك هذه المحاضرات المعنى بها ، والدالة على فضل صاحبها ، والتي لا يجوز في اعتقادنا أن ينظر اليها والى أشباهها إلا نظرة علمية بحتة ، ولنتساءل هل من فائدة للفصحى في تعليم اللهجات العامية في مثل المعهد المشار اليه أم لا ؟

لقد كتب العلامة ساطع الحصري مدير المعهد مقدمة للمحاضرات توخى أن يثبت فيها فائدة القرار الذي اتخذه المعهد بإدخال دراسة « اللهجات العربية الحالية » في جملة برامجه . وقال ان الغاية القصوى من هذه الدراسة الكشف عن أنجع السبل المؤدية الى جعل لغة الضاد « موحَّدة وموحِّدة » في جميع البلاد العربية ، أي أن تكون لغة أمتنا العربية واحدة ، وأن تكون أكبر أداة لتوحيد الشعوب العربية في أمة واحدة .

وعندما يتكلم الأستاذ الحصري أبو خلدون في مثل هذا الموضوع فهو لا يعوزه الرأي الحصيف ، ولا الفكر العميق ، ولا قوة الإقناع ، ولا الإخلاص فيما يعتقده أو يدعو اليه .

ولكنني على الرغم من تلاوة مقدمته غير مرة لم أقتنع بصحة قرار المعهد . وقد يكون السبب عدم اختصاصي بشؤون التربية والتعليم ، أو فرط تعصبي للفصحى ، أو شدة خوفي من طغيان اللهجات العامية .

ومها يكن من أمر نقد حاولت في الكلمات التالية الإفصاح عن رأيي في هذا الموضوع الهام آملاً أن تبرز لنا الخطة المثلى من طيات الآراء المختلفة :

فاللهجات العربية العامية تعد بالعشرات بل بالمآت . وكلها اليوم لا ضابط لها من نطق أو صرف أو نحو أو اشتقاق أو تحديد لمعنى الألفاظ . فهي كلام العامة يستعمل في الأغراض المعاشية ، وفي علاقات الناس بعضهم ببعض . وهذا الكلام وقتي لا يثبت على مرور الأيام ، وموضعي لا يتحول من قطر عربي الى قطر عربي آخر .

ومعناه ان اللهجات العامية لا يمكن أن تكون لغات علم وأدب وثقافة . وليس في مقدورها أن تعيش طويلاً ، ولا أن يعم بعضها أو كلها الأقطار العربية كافة . وكل ما يكتب بلهجة عامية يظل محصوراً في قطره ، وقلما يفهمه غير أبناء ذلك القطر ، أو غير طائفة من أبناء ذلك القطر .

فإذا تدارسنا خصائص هذه اللهجات ، ووضعنا لكل منها قواعد رجراجة وألقيناها محاضرات أو دروساً على طلاب ، فماذا تكون مغبة هذا العمل ؟

إن أخشى ما نخشاه أن يستهوي هذا الموضوع عقول بعض هؤلاء الطلاب ، فيعكفوا على معالجة تنظيم الكتابة والتأليف باللهجات المختلفة ، وعلى طبع هذه الرطانات ونشرها ، فتكون النتيجة تشويشاً وضرراً يباعد بعض الأقطار العربية

عن بعض ، بدلاً من أن تتوحد بلغتها ، أي تكون النتيجة مخالفة تمام المخالفة لما يتوقعه المعهد من تدريس اللهجات العامية ، وهو خدمة الفصحى .

أما القول بأن تدريس تلك اللهجات يفضي الى معرفة مشكلات الفصحى ، والى مداواة أدوائها ، فهو قول ضعيف في نظرنا .

فأدواء الفصحى معروفة تحتاج الى من يعالجها بإخلاص ونشاط وصبر ومثابرة . وأهمها وضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها ، وتبسيط قواعد الكتابة والإعراب والصرف والنحو ، وتبسيط الكثير من تعليلات القواعد الصرفية والنحوية .

وجميع هذه الأمور الشائكة يعرفها علماؤنا الأثبات ، ولا علاقة لها باللهجات العامية وقواعدها وتدريسها . والذي أعرفه أن مجمع اللغة العربية في مصر قد عالج قضية تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة ، وقدم فيها اقتراحات الى وزارة المعارف (١) . وقد طال عليها الزمن وهي في الوزارة . والمأمول أن تقرها حكومة الثورة ، فتؤلف على أساسها كتب جديدة مبسطة في تلك العلوم .

ومن الطبيعي القول بأن هذا التبسيط لم يمس جوهر الفصحى وسلامتها ، وأنها ستظل صعبة في نظر بعض الناس . ولا مجال للبحث عن بعض الآراء التي تذهب الى جعل التبسيط تشويهاً للفصحى .

وأنا لا أنكر الفوائد التي يمكن الحصول عليها من دراسة بعض خصائص اللهجات العربية . ولكن هذه الدراسة لا يضطلع بها إلا علماء أثبات وفقهاء باللغة ممن يعرفون كيف يفيدون الفصحى من دراساتهم ، وكيف يقربون العامية منها ، وكيف يمنعون طغيان العامية عليها .

فالمرحوم الشيخ أحمد رضا العاملي مثلاً قد أفاد بمعجمه النفيس «ردّ العامي الى الفصيح» . وكذلك أفاد المرحوم أحمد تيمور في معالجته لأصول الألفاظ

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بمصر ج ٦ ص ١٨٠ – ١٩٧ .

العامية المصرية . ومما فيه فائدة أيضاً أن يقر مجمع مصر بعض ألفاظ عامية سائغة ، وأن تنشر كتب وصحف وإذاعات بلغة عربية سهلة صحيحة الخ .

ولكن هذه الأمور وأمثالها شيء ، ووضع قواعد للهجات العامية ، والكتابة بها ، وتعليمها لشبان معهد عربي شيء آخر . فالأول لا ضرر فيه ، بل فيه بعض الفوائد . أما الثاني ففوائده القليلة لا تقاس بأضراره الجمة ، وإن يكن طلاب معهد الدراسات العربية من حاملي الليسانس .

وبعد ان قضية الفصحى والعامية لا تحل بدراسة اللهجات العامية وتدريسها للطلاب ، بل تحل بوسائل أخرى منها تيسير قواعد الفصحى مع الاحتفاظ بسلامتها ، ومنها على الأخص نشر التعليم في سواد الشعوب العربية ، ومنها فرض التكلم بالفصحى على المعلمين وعلى التلاميذ في جميع المدارس ، الى غير ذلك من الوسائل التي هي خارجة عن نطاق أعمال المعهد .

ولولا الخوف من أن أتهم بالتعصب لقلت ان من واجب الحكومات التي تغار على لغتها القومية ان تمنع المطابع من طبع كتب أو رسائل بالعامية ، وان تمنع التكلم بها في المدارس والمسارح ومحطات الإذاعة ، حتى في دوائر تلك الحكومات [1] .

(١) بعد كتابة هذه الكلمات زارني الدكتور الفاضل عزة النص ، أحد اساتذة المعهد ، وأنبأني أن قرار دراسة اللهجات العامية كان قد اتخذ إبان افتتاح المعهد ، أما اليوم فقد صرف النظر عن هذا الموضوع .

## البدو والعشائر في البلاد العربية

محاضرات في ١٤٣ صفحة ألقاها الدكتور عبد الجليل الطاهر على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ٠ وطبعها المعهد المذكور في أوائل سنة ١٩٥٥ م ٠

وعنوان هذه المحاضرات يدل عليها ٠ فقد تكلم فيها المحاضر الفاضل على تكوين المجتمع البدوي ، والعصبية وأشكالها ، والتنظيم الاجتماعي لدى القبائل ، وتعريف شيخ القبيلة وقاضيها و ( السركال ) و ( الملا ) في عشائر العراق ، والسيد والمؤمن عند قبائل الشيعة ، ومفهوم الحقوق والواجبات في المجتمعات البدوية حيث التبعات تكون مشتركة ، وحيث الحقوق لها أعراف خاصة ٠

وانتقل الى الحديث عن علاقة القبائل بحكومة العراق وبسياسة البلاد ، منذ عهد حكومات المغول الى زمننا الحاضر ٠ وعرج على سورية فألمع الى القوانين التي وضعت فيها لتحديد علاقة القبائل بالحكومة ٠

ثم تكلم على الأسرة البدوية ، ذاكراً شيئاً عن عاداتها في الزواج وعن مساكنها ؛ وسرد أهم خصائص المجتمع البدوي كرحلة الشتاء والصيف والغزو والنخوة والوسم وغيرها ٠ وانتهى الى ذكر أهم القبائل والعشائر البدوية ولا سيما في العراق وسورية ٠

أما بقية مواضيع المحاضرات فهي تتعلق بالاقتصاد الزراعي خاصة كإحصاء الأراضي القابلة للزراعة ، وإحصاء الملكيات الزراعية وأنواعها ، وأعمال التأريف ( الكاداسترو ) تثبيتاً لحقوق ذوي العلاقة بالأرضين الزراعية ، ومشاريع الري في العراق ، والتعاون الزراعي ، والتسليف الزراعي ، والصناعات الريفية الى آخر هذه المواضيع التي يمكن أن يؤلف في كل منها سفر أو أسفار ٠ ولا علاقة للقبائل البدوية بها إلا من حيث تبديل معيشتها وجعلها تعمل في الفلاحة ٠

وقد خرجت من تلاوة هذه المحاضرات بالنتائج الآتية :

١ — معلومات المحاضر الفاضل واسعة لا شك في ذلك . ومحاضراته مفيدة لطلاب المعهد .

٢ — ولكن المواضيع التي بحثها في تلك المحاضرات كثيرة وواسعة ومتشعبة ومتشابكة ، فمن الصعب إجمالها في محاضرات قليلة ما لم تأت تلك المحاضرات مبهمة ومشوشة .

لم يعتن المحاضر الفاضل بلغة محاضراته ، فالغلط اللغوي فيها كثير لا تكاد تخلو منه صفحة من صفحات الكتاب . وآثار الترجمة والنقل المبتسر بادية على كثير من الجمل . أما الأغلاط المطبعية فهي لا تعد ولا تحصى ، وقد شوهت هذا الكتاب المفيد تشويهاً . وأنا الذي كنت عالجت هذا الموضوعات سنين عديدة وجدتني أضيق ذرعاً بالغلط المطبعي في الكتاب ، فكيف تكون حال الطالب يا ترى عندما يقرأ مثلاً ، عشيرة الدولة ، بدلاً من عشيرة الرَّوَلة ، وبادية الحكمة ، بدلاً من بادية الحسكة ( ص ٤١ ) ، ومنطقة صلب ، بدلاً من منطقة حلب ، ومنطقة الخسيحة ، بدلاً من منطقة الحسجة أي الحسكة (ص ٨٢) الى آخر أشباه هذه الأغلاط التي لا عداد لها ؟

وياليت المعهد — وعلى رأسه العلامة الحصري المشهور بفرط تدقيقه — يتخذ بعد الآن قاعدة لا يحيد عنها ، وهي أن لا يُطبع كتاب من كتب محاضرات المعهد ، ما لم يُجعل في قالب عربي مقبول ، وما لم يشرف المحاضر نفسه على طبعه ، سواء أكان مصرياً أم كان غير مصري .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## عبد العزيز

كتاب في سيرة الملك العظيم عبد العزيز آل سعود ، ألفه المؤرخ الألماني البحاثة داكوبرت فون ميكوش ، ونقله الى العربية الوطني المجاهد الكبير الدكتور أمين رويحة ، فجاءت الترجمة في ٢٨٤ صفحة .

والمؤلف توفي حديثاً . وكان كاتباً بليغاً ، ومؤرخاً معروفاً بواسع اطلاعه على تأريخ الشرق ورجاله . وقد وضع كتاباً في ترجمة مصطفى كمال ، وآخر في ترجمة رضا شاه بهلوي . وجاء كتابه هذا على الملك عبد العزيز من أصح ما كتب الكاتبون في سيرة ذلك البطل العربي العظيم .

وقد سرد المؤلف الوقائع والحوادث على شكل قصصي جميل ، وبأسلوب فذ رائع يستهوي القارئ ، ويحمله على متابعة القراءة ، فيصيب في الكتاب لذة وفائدة على السواء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجاء المترجم الفاضل - وهو من أعلم علمائنا باللغة الألمانية - فنقله الى لغتنا الضادية ، في جمل عربية ناصعة لا يجد الناقد فيها أثراً للترجمة ، ولا لركاكة الإنشاء أو غموضه ، مما يكثر في كتابات بعض المترجمين .

ونحن في ديار الشام خاصةً نعرف جوانب كثيرة من الثورة العربية في الحجاز سنة ١٩١٦ م ، ومن دخول الجيش العربي الشام سنة ١٩١٨ م ، ومن الأحداث السياسية التي حدثت بعد ذلك ، لأن كل هذه الشؤون كانت لاصقة بنا ، ولأنه كان لرجالنا القوميين والعسكريين يد فيها جميعاً .

أما الجزء الشرقي من جزيرتنا العربية فإننا ما كنا نعرف إلا القليل مما كان يحدث فيه من حوادث هامة في تلك الأيام . فتأريخ الوهابية وآل سعود وآل الرشيد أيام الدولة العثمانية ، وفي الحرب العالمية الأولى ، واستقلال نجد

وأطرافها ، ومقارعة الأتراك ثم الانكليز على ذلك الاستقلال ، وتأسيس تلك الدولة العربية العظيمة ، ونشر سلطانها في مساحة من الأرض تعادل مساحة ثلثي أوربة ، كل هذه الأمور لم نطلع عليها حق الاطلاع ، ولم ندرسها دراسة علمية وقومية واسعة ، على حين انها صفحات خالدات في تأريخ أمتنا الحديث ، وعلى حين ان لها تأثيراً كبيراً في حياتنا القومية .

والى أن يتاح لعلمائنا الأثبات تحقيق تلك الدراسة الواسعة لا بد لنا من القناعة بتلاوة الكتب المجملة التي يُعتد بها كهذا الكتاب . وهو في نظري أجمل خلاصة وأدقها وأوثقها للتأريخ الحديث في ذلك الجزء الكبير من الوطن العربي . وهو أيضاً أصدق صورة لحياة بطل عربي قلما يجود الزمان بمثله .

وقد أعجبني من المترجم العالم ، الذي طالما أوذي في جهاده الوطني ، وفاؤه لمن أحسن اليه بإنقاذ حياته . فلقد ذكر في مقدمة الترجمة أن الراحل العظيم انتشله من الموت ، وأنقذه مراراً من الأحكام السياسية القاضية بإعدام حياته ، وأسبغ عليه من حمايته ما لا ينساه مدى الحياة .

وبعد اذا كان كتاب لورنس الضخم في الثورة العربية وهو « أعمدة الحكمة السبعة » قد كتب بأسلوب رائع ، وبلغة الأدب الرفيع ، فكتاب صنوه الألماني هذا لا يقل عن الكتاب الأول في أسلوبه وفي بيانه . والفرق بين الكتابين أن الانكليزي رافق الثورة العربية من الحجاز الى دمشق ، فجعل نفسه محورها ، وأغرق في الكلام ، وتبجح على هواه ، حتى لكأنه صاحب القضية العربية ؛ على حين ان الألماني كتب ما كتب بتواضع العالم المؤرخ الأمين على سرد الحقائق بلا إغراق ولا غاية سياسية أو شخصية .

الشهابي

http://Archivebeta.Sakhrit.com

## المفردات الأساسية للقراءة الابتدائية

( في الأجزاء الثلاثة التي تلي الألف باء )

جمعه الدكتور فاخر عاقل أستاذ علم النفس التربوي في كلية التربية بالجامعة السورية

طبع في دمشق سنة ١٩٥٣ عدد صفحاته ٤٨٠ صفحة من القطع الكبير

سأل صاحب هذا الكتاب أحد مؤلفي كتب القراءة عن الطريقة التي اتبعها في اختيار الألفاظ التي ضمَّنها كتابه فأجاب : نحن نختار اللفظة بحسب الحاجة اليها ، فسأله ما هو المقصود من هذه الحاجة وما هو مقياسه في تفضيل لفظة على أخرى ، فقال : إنّ الذوق الأدبي هو الذي يرشد الى هذه الحاجة ويساعد على تخير الألفاظ . وفي هذا الجواب دليل واضح على أن العنصر الشخصي وذوق المؤلف يؤثران تأثيراً بالغاً في تعيين المفردات . وليس في هذا ضبط علمي ولا مقياس موضوعي ، لأن الذوق الأدبيّ يختلف باختلاف المؤلفين ، ولأن الكلمات التي نختارها بحسب أذواقنا قد توافق المستوى العقلي للطلاب أو لا توافقه . فمن الضروري إذن أن نعتمد في اختيار مفردات القراءة على طريقة الإحصاء ، فنبحث عن أكثر الألفاظ تردداً على ألسنة الأطفال والراشدين ، وعن أكثرها تكرراً في كتب الأطفال ، وكتب الأدب ، وكتب العلوم وغيرها .

قال المؤلف في مقدمة كتابه : « إن إحصاء المفردات الأساسية يجب أن يشمل القرآن والانجيل والحديث والكتب الدينية » والكتب الأدبية القديمة والحديثة « والكتب المدرسية في مختلف حقول العلم ، كما يجب أن يشمل لغة الصحافة والمجلات والأدب العامي . إن إحصاء كهذا يسهّل لنا الحصول على قائمة بالكلمات الأساسية التي يجب استعمالها في كتب القراءة ، كما يسهّل علينا أيضاً تعليم اللغة العربية .

ولكن أنى لعالم واحد إحصاء المفردات الأساسية المستعملة في جميع هذه النواحي . إنّ عملاً كهذا يتطلب تعاوناً علمياً واسع النطاق بين كثير من العلماء . فلا بدّ إذن في بداية الأمر من تحديد نطاق الإحصاء وحصره في ناحية واحدة .

هذا ما فعله الدكتور عاقل ، فهو قد قصر بحثه على دراسة كتب القراءة المستعملة في الصفوف الثلاثة التي تلي الصف الأول من المدرسة الابتدائية ، وهي كتاب الجديد الذي ألفه الأستاذ خليل سكاكيني لمدارس فلسطين ، وكتاب القراءة المصورة الذي وضعه جماعة من الأساتذة لمدارس لبنان ، وكتاب القراءة الطريفة الذي وضعه الدكتور حلمي اللحام لمدارس سورية ، وكتاب مبادئ القراءة الرشيدة الذي وضعه محمد عبيد ، وعبد الفتاح صبري ، وعلي عمر لمدارس مصر ، وكتاب سلم القراءة العربية الذي وضعه أحمد السباعي لمدارس الحجاز ، وأضاف الى هذه الكتب بعد ذلك كتاب القراءة العربية الذي ألفه لمدارس العراق متى عقراوي ، ومحمد ناصر ، ومحمد بهجت الاثري ، وعبد الحميد كاظم ، ورشيد الشلبي . فوجد عدد الكلمات الدارجة الواردة في هذه الكتب ( ١٨٨٠٨٨ ) كلمة ، وعدد الكلمات النوعية ( ١٠٦٤ ) ، وعدد الكلمات الأساسية ( ٣٠٠٠ — ٤٠٠٠ ) كلمة .

وبديهي ان نتائج هذا الإحصاء لا تصدق إلاّ على الألفاظ الواردة في هذه الكتب ، لأن تكرر بعضها أكثر من بعض ليس دليلاً على أن أكثرها تكرراً في الكتب أقرب الى مدارك الأطفال وأكثر انتشاراً على ألسنة الناس . مثال ذلك ان لفظ ( تأمّل ) يتكرّر ( ١٤٤ ) مرة في حين أن لفظ ( سافر ) لا يتكرّر إلاّ ( ٥٠ ) مرة . وبينما نجد لفظ ( سبب ) يتكرر ( ٧١ ) مرة نجد لفظ ( بقرة ) لا يتكرّر إلاّ ( ٢٩ ) مرة . فهل يدل هذا على ان الطفل

يفهم لفظي (تأمل) و (سبب) أحسن مما يفهم لفظي (سافر) و (بقرة) ؟ لا لعمري . إن هذا الإحصاء لا يعطينا إلا نتيجة واحدة وهي انه يصدق على الكتب التي استعملت هذه الألفاظ لا على الأطفال والراشدين الذين يستعملونها في كلامهم . وقد أشار الدكتور عاقل نفسه الى أن لفظ (خب) تكرر (١٩) مرة في حين ان لفظ (خرب) لم يتكرر الا مرة واحدة . والسبب في ذلك ان الكتاب الثالث من السلسلة السورية يشتمل على قصة عنوانها (الخب والمغفل) يتكرر فيها لفظ (خب) هذا العدد من المرات . ولولا ذلك لما جاءت مرتبتها في الإحصاء أعلى من مرتبة (خرب) . ونعتقد أن علاج ذلك لا يمكن أن يتم بما يسميه العلماء بالمدى (Range) ما دام الاحصاء مقصوراً على هذه الكتب . نعم ان كلمة تتكرر خمس عشرة مرة في خمسة عشر كتاباً أهم من كلمة تتكرر عشرين مرة في كتاب واحد . ولكن ذلك لا يمنع أن يتكرر اللفظ المجرد ثلاثين مرة في خمسة عشر كتاباً ، ولا يتكرر اللفظ الحسي في الكتب نفسها إلا خمس عشرة مرة . فهل يدل ذلك على أن الألفاظ المجردة أقرب الى مدارك الأطفال من الألفاظ الحسية ؟

وقصارى القول ان الإحصاء الدقيق الذي قام به الدكتور عاقل يبين لنا نسبة تكرّر الألفاظ في كتب القراءة الموجودة بين أيدينا ، لا نسبة تكررها الحقيقية ، وما أحوجنا اليوم الى مثل هذه البحوث لإصلاح كتب القراءة على أساس علمي واضح ، فنشكر لصديقنا الدكتور عاقل مجهوده العلمي الكبير ، ونرجو أن ينتفع مؤلفو الكتب المدرسية ببحوثه القيمة ، وأن يكون بحثه هذا حافزاً على القيام ببحوث علمية أخرى متممة له .

جميل صليبا

## مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية

من ست سور : الأعلى ، الشمس ، الليل ، العلق ، البينة ، الكافرون
صححه وعلق عليه ، مع مقدمة بالانكليزية عبد الصمد شرف الدين . مطبعة « ق »
بمباي ، الهند

ليست هذه المجموعة المؤلفة من تفسير هذه السور الست للإمام أحمد بن تيمية (البالغة ٤٨٠ صفحة عدا الفهارس) تفسيراً لها فحسب ، بل هي في الحقيقة تفسير لبعض سور القرآن ، ومناظرة لعلماء الكلام ، المؤولة لآيات الصفات ، والمعطلة لمعانيها اللغوية والشرعية ، كالجهمية والمعتزلة والقدرية ، وتوفيق بين صحيح المنقول وصريح المعقول على أفضل الوجوه . وقد كملت هذه المجموعة بتعليقات الأستاذ المولع بدراسة كتب الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ، السيد عبد الصمد شرف الدين ، فقد بيّن بتعليقاته المبهم ، وفصّل المجمل ، وأوضح المشكل ، وملأ البياض ، بما نقله من كتبها مفصولاً عن الأصل ، وبما أضافه من قوله طبقاً لما اقتضاه البحث ، وخرّج الأحاديث ، وترجم للأعلام ، وذكر ما اشتهروا به ، مع تاريخ وفياتهم .

وقد ظفر الأستاذ بهذه المجموعة في كتاب « الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري » لابن عروة الدمشقي الحنبلي (المتوفى سنة ٨٣٧) المحفوظ بخزانة دار الكتب المصرية تحت رقم (٦٤٥) تفسير . وهذه المجموعة مما كتبه شيخ الاسلام في آخر عمره ، وهو منعزل عن الناس في خلوة السجن ، كما تراه في مقدمة السيد شرف الدين . وقد طبعها على أحدث ما بلغه فنّ الطباعة من إتقان ، وجعل في رؤوس الصحائف اليمنى أسماء السور المفسرة ، وفي اليسرى خلاصة ما تضمنته تلك الصحائف من مباحث ، وفي الشواهد القرآنية ـ وما أكثرها ـ أسماء سورها وأرقام آياتها ، وبين كل بضعة أسطر من الأصل ، عنوان للناشر بما اشتملت عليه ، وفي أول الكتاب فهرس

عام لمباحث سوره المفسرة ، وفي آخره فهرس مفصل لأسماء الأعلام ، والفرق ، والأماكن ، والكتب ، مع الإشارة إلى أرقام صحائفها مهما تكررت ، ويتلو هذا الفهرس جدول الخطأ والصواب . وختمه بمقدمة الكتاب باللغة الانكليزية .

ومن غرر مباحث الكتاب : صفة العلو ، ومسألة النزول ، والرد على دائرة المعارف الإسلامية ، وعلى ابن بطوطة (وقد ردّ عليهما من قبل كاتب هذه السطور في مجلة الرسالة المصرية ، ومجلة العالم الإسلامي البغدادية ) ، قيام إبراهيم وموسى ومحمد بأصل الدين ـ التوحيد ـ حل مشكلات تفسير سورة التين .

أقول : أما صفة العلو فقد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن الله تقدست ذاته هو فوق سمواته ، التي هي مقر ملائكته ومهبط وحيه ، وأنه مستو على عرشه ، وبائن من خلقه ، لا يحل فيهم ، ولا يمتزج بهم . ومن هنا يُعلم المراد من المعية في مثل قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » ، « إنني معكما أسمع وأرى » ، « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » ، « إن الله مع الذين اتقوا » فليس حقيقة هذه المعية المخالطة والمجاورة ، بل هي منفية قطعاً ، وإنما هي معية العلم والقدرة والإحاطة ، ومعية النصر والتأييد والمعونة ، ومثل ذلك معنى القرب .

وأما وحدة الأديان ، وأخوة الرسل الكرام ، فقد بيّن أن المنسوخ الذي تنوعت فيه الشرائع قليل بالنسبة الى ما اتفقت عليه الكتب والرسل ، فإن الذي اتفقت عليه هو الذي لا بد للخلق منه في كل زمان ومكان ، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح ، وعامة السور المكية كالأنعام والأعراف ، وآل حم ، وآل طس ، وآل الر ، هي من الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين ، كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والصدق والعدل والإخلاص ، وتحريم الظلم والفواحش والشرك ، والقول على الله بلا علم .

رحم الله المؤلف ورضي عنه ، وجزى أفضل الجزاء الناشر ، وكلّ من عاونه في إبراز هذا الكتاب الجليل ، وقد ذكرهم في مقدمته ، وأثنى عليهم أطيب الثناء .

## التفسير القيّم

### للإمام ابن القيّم ( ٦٩١ — ٧٥١ )

جمعه الأستاذ السلفي الشيخ محمد أويس الندوي

بتحقيق وتعليق الأستاذ محمد حامد الفقي ، رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية ، بمصر

محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيّم الجوزية ( الجوزية إحدى مدارس دمشق ) هو إمام في لغة القرآن وأسلوبه ، وفقهه وتشريعه ، وإيجازه وإعجازه ، وحقيقته ومجازه ، وقد جمع في هذا « التفسير القيم » ما قرأه الأستاذ الندوي في كتب ابن القيم المطبوعة تفسيراً لآيات متفرقة من الذكر الحكيم من نحو سبعين سورة . فمنها ما توسّع في الكتابة عنه كسورة الفاتحة التي بلغ تفسيرها أكثر من مائة صفحة ، وكالمعوّذتين فقد فسّرتا بنحو مائة صفحة . أما السبع الطُّوَل فقد بلغ ما فسّره من أولها — وهي سورة البقرة — سبعين صفحة . ومن آل عمران دون الخمسين . ومن سورة النساء نحو عشر صفحات ، ومن المائدة خمساً ، ومثلها من الأنعام ، وفسّر آيات من سورة الأعراف — وهي آخر السبع الطُّوَل — بنحو خمسين صفحة . ومنها — أي السور — ما فسّر آيتين منها أو ثلاثاً ، وهنالك سُوَر كثيرة لم يرد لها ذكر .

وعلى كلٍّ فانّ الواقف على هذا التفسير ، يجد فيه ما لا يجد في غيره من حقائق التنزيل والتأويل ، وله في تفسير بعض الآيات سبح طويل ، وهذا بعض مشتملات تفسير « إياك نعبد » فقط : أهل مقام « إياك نعبد » أربعة أصناف ، الصنف الأول : نفاة الحِكَم والتعليل . (٢) القدرية النفاة . (٣) الذين زعموا أنّ فائدة العبادة رياضة النفوس . (٤) وهم الطائفة المحمدية الابراهيمية . بنى « إياك نعبد » على أربع قواعد . جميع الرسل دعوا الى « إياك نعبد » . الله تعالى جعل العبودية وصف أكمل خلقه . لزوم « إياك نعبد » لكل عبد

إلى الموت . انقسام العبودية إلى عامة وخاصة ـ مراتب « إياك نعبد » علماً وعملا ـ رحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة ـ أما عبوديات اللسان الخمس . . . ـ العبوديات الخمس على الجوارح .

وقد استغرق الكلام على « إياك نعبد » ما يقرب من خمسين صفحة ! وهل يعجب القارئ من هذا من بعد أن يعلم أن هذا الإمام يرى أن مر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى الى « إياك نعبد وإياك نستعين » ؟ وانه قد شرح كتاب منازل السائرين الى الله لأبي اسماعيـل الهروي بثلاثة مجلدات كبار ، وسمّى شرحه : ( مدارج السالكين ) ، بين منازل « إياك نعبد وإياك نستعين » . ومن وقف على هذه المنازل ، ذكر قول القائل : « لك يامنازل في القلوب منازلـــ » .

وإن أدري كيف فات جامع الكتاب والمعلّق عليه ، إضافة بعض الآيات أو السور اليه ، كسورة العصر مثلاً ، وهي في ( ص ٢٥ ج ١ ) من إغاثة اللهفان الكبرى لابن القيم ، وقد طبعت ( ١٣٥٧ / ١٩٣٩ م ) بتحقيق وتصحيح وتعليق صديقنا الشيخ محمد حامد الفقي ، مصحح « التفسير القيّم » والمعلّق عليه ، مع أن هذا التفسير قد جمعه الأستاذ محمد أويس الندوي مما فسّره ابن القيم من الآيات الكريمة في كتبه المطبوعة ، واستدرك عليه الأستاذ الفقي ما فاته منها ، وكالآيات ( ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ ) من سورة الحج ، وهي في ( ص ٩ و ١٠ ج ١ ) من الإغاثة الكبرى أيضاً ، مع أنه فسّر من هذه السورة الآيتين ( ٣٠ و ٣١ ) نقلاً عن بدائع الفوائد ج ٤ ص ٢١ ) والآية ( ٧٣ ) نقلاً عن أعلام الموقّعين ( ج ١ ص ٢١٦ و ٢١٧ ) .

والذي يظهر أن الأستاذ الندوي جامع هذا الكتـــاب أخذ ما تيسر له الاطلاع عليه من كتب ابن القيم المطبوعة ، واقتنص من الشوارد ما اتفق له ،

وأحسب ان ما فاته أكثر مما التقطه بكثير ، والاستقراء الصحيح الذي يضمن له الاستقصاء هو أن يقرأ كتبه المطبوعة واحداً بعد واحد ، وينقل من كل كتاب جميع آياته المفسّرة ، وبعد أن يفرغ منها كلها ، يجمع بينها ويرتب سورها ترتيب القرآن ، ويفسّر آياتها معدودة بالأرقام ، ويثبت في أعلى الصحائف أسماء السور المفسّرة ، أو عناوين لمباحثها ، ويضع جدولاً للخطأ والصواب ، واليك تصويب المهم مما عثرنا عليه الآن : ( د ) رحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة ، ( ه ) آمنوا ، ( ط ) « أنت وَ ابي » ، ( ك ) « ما اتخذ » « ومَن لم يجعل الله له » ، وفي ( ص ٣٩٤ س ٧ ) : والسقيم ( و س ١٦ ) : متكلماً به ، ( ص ٥٠٦ س ٤ ) : كان معموراً . فجزى الله المؤلف والجامع والمحقق والمعاونين والناشرين خير الجزاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## دلائل النبوة

للحافظ الكبير والمحدث الشهير أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ ه

هذا كتاب جليل ، قد ضم خمسة وثلاثين فصلاً ؛ جمع فيها المنتشر من الروايات في النبوة ودلائلها ، والمعجزات وحقائقها ، وخصائص المبعوث محمد ( ﷺ ) إلى العالمين ؛ فالفصل الأول منها في ذكر ما أنزل الله تعالى في كتابه من فضله ، والفصول بعده في حسبه ونسبه ، وبيان أسمائه ، وإقسامه تعالى بحياته ، وما فضل به هو وأمته ، واشتهار أخباره عند ملوك اليمن والروم وفارس ، وما سمع من الهتاف باسمه ، وذكره في الكتب المتقدمة ، ثم وصف حياته مفتتحة بمناقب أجداده ، فتاريخ ميلاده ونشأته الطاهرة ، وبعثته العامة ، واحتماله الأذى في سبيلها ، ومخرجه من مكة إلى المدينة مهاجراً . والفصل الثاني والعشرون الى السابع والعشرين في إقبال الشجر إليه ، وتسليم الشجر والمدر عليه ، وذكر

حنين الجذع إليه ، وفوران الماء من بين أصابعه ، وذكر ربو الطعام بوضع يده عليه ، وتسبيح الحصى .

الفصل الثامن والعشرون في ذكر ما جرى من الآيات في غزواته وسراياه ، ذكرها مرتبةً من غزوة بدر إلى غزوة تبوك ، مبيناً موضع الدلالة منها ، ووجه الآية فيها ، «وفي جميع ذلك دليل على ما قلناه من أنه (ﷺ) لم يخل شيء من أحواله عن آية شاهدة له ، ومعجزة جارية على يديه» وذكر ما جرى من الدلائل في غزوة مؤتة ، وغزوة الطائف ، وسرية زيد بن حارثة ، وقصة هدم بيت العزى .

الفصل التاسع والعشرون : ما أخبر به (ﷺ) من الغيوب فتحقق على ما أخبر به في حياته وبعد موته .

الفصل الثلاثون : في ذكر ما ظهر لأصحابه في حياته ، والفصل الحادي والثلاثون : ما وقع من الآيات بعد وفاته ، الفصل الثاني والثلاثون : ما جرى على يدي أصحابه بعده ، الفصل الثالث والثلاثون : في فضائل الأنبياء قبله وفضائله ، ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتي . الفصلان الرابع والثلاثون والخامس والثلاثون وهما الختام في رواية خبرين يشتملان على جمل من صفاته وأخلاقه وأحواله ، وما يتضمن ذلك من آدابه وسننه وشرائعه الموافقة لقضايا المعقول في الصحة والجواز . وقد اشتمل الكتاب على «٥٦٦» صفحة .

هذا وإن كتب الحديث – كما قال أئمة هذا الشأن – على طبقات مختلفة ، ومنازل متباينة ، فوجب الاعتناء بمعرفة طبقات كتب الحديث ، ليعرف الصحيح من غيره ؟ أما ما كان ضعيفاً ، أو موضوعاً ، أو منقطعاً ، أو مقلوباً في سنده أو متنه ، أو من رواية المجاهيل ، أو مخالفاً لما أجمع عليه السلف طبقة بعد طبقة ، فلا سبيل الى القول به . وكان أبو نعيم رجلاً عالماً بالحديث ، لكن هو وأمثاله يروون ما في الباب ليعرف أنه قد روي ، كالمفسر الذي ينقل أقوال

الناس في التفسير ، وإن كان كثير من ذلك لا يعتقد بصحته ، بل يعتقد ضعفه ، لأنه يقول : نقلت ما ذكر غيري ، فالعهدة على القائل ، وفي منهاج السنة : ان ابا نعيم روى كثيراً من الأحاديث التي هي ضعيفة بل موضوعة باتفاق علماء الحديث ، وهو وإن كان حافظاً ثقة ، كثير الحديث ، واسع الرواية ، لكن روى ، كما هو عادة المحدثين يروون ما في الباب لأجل المعرفة بذلك ، وإن كان لا يحتج من ذلك إلا ببعضه .

لم نجد في الكتاب جدولاً للخطأ والصواب . وفي (ص ٢ منه س ١٠) «ولقد أرسلنا» والتلاوة : «لقد أرسلنا» (سورة الحديد الآية ٢٥) .

## رسالة في الهداية والضلالة

تأليف الصاحب بن عباد

أخرجها الأستاذ حسين علي محفوظ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه الرسالة صغيرة الحجم ، جمة الفائدة ، ألفها الصاحب بن عباد الأصفهاني الشهير ، الذي أخذ عن أبي الفضل بن العميد الشيء الكثير ، واستوزره مؤيد الدولة الديلمي ، ثم أخوه فخر الدولة ، (توفي سنة ٣٨٥) وقد ألف هذه الرسالة - في الهداية والضلالة - رداً على الحشوية والقدرية والمجبرة ، الذين قالوا بقول المشركين : «لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، ولا حرّمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون» .

وغرض المؤلف (رحمه الله) من ذلك ظاهر ، وهو إثبات العدل ، ونفي الظلم عن الله عزّ وجلّ ، ولكنه لم يستقص آيات الهداية والضلالة ، ولا المشيئة والإرادة الواردة في القرآن ، كقوله : «ولو شئنا لآتينا كلّ نفس هداها» ،

« فلو شاء لهداكم أجمعين » ، « ولو شاء ربك ما فعلوه » ، ولا شك أن الهداية في القرآن نوعان ، هداية الدلالة والبيان ، وهي التي يملكها الإنسان ، وهداية التوفيق القلبي والإلهام ، فالأولى هداية شرعية « وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم » والثانية هداية أزلية « إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء » ومثلها المشيئة الأزلية أو القدرية : « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » ، « ولو شاء ربك ما فعلوه » وحاصله أن المخلوق المكلف يحاسب بما هو صادر عنه من الأفعال ، لا بما هو جار عليه من الأقدار ، وليس في ما يسند إليه إكراه ولا إجبار ، ولكن الصاحب بن عباد معتزلي العقيدة ، فهو من نفاة القدر ، القائلين ( إنما الأمر أنف ) وللإمام أحمد بن حنبل في الرد عليهم جملة ذهبية ، فقد كان يقول : « ناظروهم بالعلم ، فان هم أقروا به رجعوا ، وإن أنكروه كفروا » ومراده : هل يعلم الله الأشياء قبل وقوعها أم لا ؟ وليس في علمه الأزلي بها إلزام بفعلها أو تركها ، بل للمكلف الخيار ، والله عالم بما يصنع فمحاسبه عليه ، وهذا هو القول الوسط الذي لا تفريط فيه ولا شطط .

وفي طليعة الرسالة - بعد كلمة التصدير - وصف النسخة ، وخصائص رسمها ، وصفحات من نسخة الأصل المخطوطة في سنة ٣٦٤ هـ ، وصورة خط الصاحب ابن عباد في آخر نسخة الأصل ، وترجمة المؤلف وتآليفه وقد بلغت (٣٧) كتاباً ورسالة ، مع الإشارة إلى ما طبع منها ، ومراجع ترجمة المؤلف وقد بلغت خمسة وثمانين مرجعاً ، على أن ترجمته لم تزد على الصفحة الواحدة إلا قليلاً ، ومراجع التعليق وقد بلغت ( ٢٨ ) مرجعاً .

وبعد فالرسالة تحفة نفيسة بذل ناشرها الأستاذ حسين علي محفوظ في تصحيحها جهداً عظيماً ، استحق عليه شكراً جزيلاً .

## المبادئ الشرعية في الحجر والنفقات والمواريث والوصية

### في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني

تأليف : المحامي صبحي محمصاني

كنا عرّفنا في هذه المجلة ببعض مؤلفات الدكتور المحمصاني ، ووصفنا الأستاذ المؤلف بأنه واسع الاطلاع على أمهات المراجع الإسلامية ، فهو ينقل عنها بعناية وأمانة ، ويشير الى الأجزاء والصفحات ، وما يعزوه إلى غيرها كثير أيضاً ، وهذا دأبه في ما يترجم من المواد والأحكام عن كتب الحقوق الفرنسية والانكليزية وغيرها ، وهو ما تقتضيه أمانة العلم .

وهذه مجموعة من المحاضرات ( تبلغ ٣٦٠ صفحة ) أعدت لطلاب السنتين الثالثة والرابعة من معهد الحقوق الفرنسي في بيروت ، وقد قسم مباحث هذا الكتاب إلى الأقسام الأربعة التي جعلها عنواناً له ، فالقسم الأول في أحكام الحجر وفاقدي الأهلية ، والثاني في الوصية ، والثالث في النفقات ، والرابع في المواريث . وقد اشتمل القسم الأول على سبعة أبواب وهي : الحجر والولاية ، والصغر ، والجنون ، والعته ، والحجر على السفيه ، ومرض الموت ، وأهلية المرأة ، وأسباب أخرى للحجر . ( والثاني ) على ثلاثة : أحكام عامة ، شروط الوصية ، آثار الوصية . ( والثالث ) على خمسة : نفقة الزوجة ، نفقة الفروع ، الأصول ، ذوي الأرحام ، قواعد عامة في النفقات . ( والقسم الرابع ) على ثمانية أبواب : أحكام عامة ، موانع الإرث ، أصحاب الفروض ، العَصبات ، والعَوْل والرد ، ذوو الأرحام ، الحجب ، مسائل متنوعة ؛ ووراء كل باب فصول وفروع منسقة مستوفاة .

قدّم الدكتور المحمصاني لكتابه مقدمة ملائمة لهذا الموضوع ، أصلاً لهذه الفروع ، وهي في علم الفقه وأقسامه ، وتاريخ التشريع الاسلامي وتطوره ، وقد قسمه إلى أدوار : عصر الجاهلية ، النبوة ، الخلفاء الراشدين والأمويين ، العصر الذهبي العباسي ، عصر الانحطاط والتقليد ، عصر النهضة ، وبيّن المذاهب السنّيّة والشيعيّة ، وذكر العهد العثماني والعصر الحاضر ، إلى أن بلغ القوانين الجديدة . وختم هذه المقدمة ببيان الأدلة الشرعية الأربعة التي هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وذكر أدلة أخرى غير متفق عليها ، كالاستحسان ، والمصالح المرسلة ، والاستدلال ، واستصحاب الحال . ثم مقارنة بين مصادر التشريع الإسلامي ، ومصادر التشريع اليوم : وهي التشريع الوضعي ، والعُرف والعادة ، والاجتهاد القضائي .

وقد أحصى في آخر المبادئ الشرعية أهم المراجع ، مرتباً أسماء مؤلفيها على حروف الهجاء ، مبيناً أماكن طبعها ، ووضع فهرساً هجائياً بالموضوعات والأعلام ، مع أرقام صفحاتها مها تكررت ، والفهرس الأخير لمحتويات الكتاب ، ثم جدول الخطأ والصواب . والدكتور أثابه الله قد وهب وقته للتدريس والمحاماة والتأليف .

مما لاحظناه ( في ص ٢٠ ) : تعريف المؤلف للمصالح المرسلة بأنها الخارجة عن القياس للمصلحة ، وقد عرّفوها بأنها التي لم يشهد باعتبارها ولا بإلغائها دليل معيّن من الشرع . وللشيخ نجم الدين الطوفي الحنبلي ( م ٧١٦ ) رسالة مستقلة في رعاية المصالح المرسلة من أدلة الشرع ، وقد طبعت أخيراً بمصر . ( وفي ص ٢٣ س ٣ ) : أبو إسحق الفيروزبادي ، صاحب كتاب المهذب : هو أبو إسحق الشيرازي .

## (مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه)

(محاضرات) ألقاها الأستاذ عبد الوهاب الخلاف على طلبة قسم الدراسات القانونية سنة ١٩٥٤م
جامعة الدول العربية — معهد الدراسات العربية العالية

لما ضعفت الملكات الدينية في الحكومات العربية والإسلامية ، وفي مجالسها النيابية ، وتغلغل النفوذ الغربي فيهم ، واتسعت دائرة المعاملات معهم ، استمدوا من قوانين الغرب ونُظُمه ما ظنّوا أنهم يستشفون به من أدوائهم ، ويجدّدون به عهد قوتهم ونشاطهم ، ولكنهم ازدادوا وهناً على وهن ، وصحّ فيهم قول القائل :

اذا استشفيت من داء بداء فأقتل ما أعلّك ما شفاكا

ذلك بأنهم خرجوا عن قواعد الشريعة والطبيعة معا ، وفاتهم أنّ لكل أمّة شرعةً ومنهاجاً ملائمين لحياتها ، فاذا حادت عنها أوردت أنفسها موارد الهلكة ، وهذا هو الذي جرى للحكومة العثمانية أيام ضعفها وانحلالها ، لا في زمن فتوحها واستقلالها ، فقد كانت أيام نهضتها عاملة بشريعتها ، محتفظة بقوتها ، حامية لمملكتها ، فينبغي للمؤرخ المنصف أن لا يغفُل عن هذه الحقيقة .

والكتاب الذي نتصفحه الآن هو محاضرات للعلاّمة الخلاّف ، أثبت فيه أن الشريعة الإسلامية تتمشى مع العصور ، وتتطوّر بارتقاء الزمن في معاملاتها الدنيوية ، وأن لها من كلياتها الفقهية وقواعدها العامّة ما تستطيع أن تستنبط منه أحكاماً للحوادث والوقائع التي تتجدّد على تراخي الزمن ، واختلاف البيئات والأقاليم ، وقد وصف في هذا الجزء (الذي يبلغ مائة وخمسين صفحة) أهم مصادر التشريع الإسلامي الذي لا نصّ فيه ، فتكلّم على خمسة منها وهنّ القياس والاستحسان والاستصلاح والعُرف والاستصحاب ؛ وقد أحسن الأستاذ صُنعاً بنشره رسالة النجم الطوفي العالم الحنبلي (م سنة ٧١٦ هـ) في رعاية المصلحة ،

وبيان منزلتها العظمى من أدلة الشرع ، وهي التي شرح فيها حديث ( لا ضرر ولا ضرار ) من الأربعين النووية المشهورة ، وكان جرّدها أستاذنا الشيخ جمال الدين القاسمي وعلّق عليها وطبعها في مجموعته الأصولية ، ونشرتها مجلة المنار بمصر في المجلد التاسع ، ثم طبعت بمصر مستقلة مصححة على نسخ خطية ، والرسالة من النفائس ، وهذه المحاضرات للأستاذ الخلاف حجة على من يرمون الإسلام بالجمود ، ويحاولون إزالته من الوجود ؟!! ( ألا خاب هذا والمشيرون خُيّب ) .

ونلاحظ في هذه الرسالة الطوفية أنها قد حظيت بعناية العلماء الأجلاء ، ولكنّ أحداً منهم لم يُعنَ بتخريج أحاديثها على قلتها ، ومن ذلك الحديث الذي أورده الطوفي بلفظ : « اتبعوا السواد الأعظم ، فانه من شذّ ، شذّ في النار ، ويد الله مع الجماعة » علق عليها الأستاذ الخلاف بقوله : « هذه الجملة من [ب] - أي من ثانية النسختين الخطيتين المحفوظتين في الخزانة التيمورية من رسالة الطوفي - وقد وجدتها هناك - يد الله على الجماعة - فصححتها » اه أي صححها بلفظ ( مع الجماعة ) ولو رجع الأستاذ الى كتب السنة لما صححها ، فقد وردت باللفظين ( مع وعلى ) وقد روى الحديث الترمذي وحسّنه بلفظ : « يد الله على الجماعة » وفي رواية له عن ابن عباس « يد الله على الجماعة ، اتبعوا السواد الأعظم ، فانه من شذّ ، شذ في النار » وهي أشبه برواية الأصل على ما فيها من تقديم وتأخير .

وههنا اقتراحان ، ( الأول ) : رجاؤنا من معهد الدراسات الإسلامية أن يدرس بعد هذه المحاضرات النافعة كتاب ( فقه الإسلام ) للأستاذ الجليل الشيخ حسن أحمد الخطيب المطبوع بمصر ، فهو من أفضل مآثر هذا العصر في التشريع الإسلامي ، وقد كتبنا عنه ووصفناه في مجلة مجمعنا العلمي . ( والثاني ) : رجاؤنا

من جامعة الدول العربية وحكوماتها الإسلامية أن تستمد أصولها وقوانينها من هذا المعين الذي لا ينضب ماؤه ولا تبلى جدّته (أعني فقه الإسلام)، فهو يرشد هذه الحكومات العربية الى وحدة لا انفصام لها؛ ويخلصهم من هذا الضعف والانحلال، اللهم ألهمهم الصواب، وهبهم الحكمة وفصل الخطاب.

وقعت أغلاط قليلة نوجه النظر اليها: منها في الذيل (ص ٧٧): ابن القيم توفي سنة ٢٥١ صوابها: (سنة ٧٥١ هـ)، ومنها (ص ١٢٧ س ٨): متى يوجد: (حتى)، ومنها (ص ١٢٨ س ٢٣): إلاّ استثناء: إلاّ ما استثناء. و (ص ١٤٩ س ٧): في اصلاح: «في اصطلاح». وفي صفحة الفهرس آخر الكتاب: بين المساومات: «المتساويات». إقصاؤها إلى: «افضاؤها». مروية مصادر الخ: «مرونة».

ARCHIVE

(محاضرات في الميراث عند الجعفرية)

ألقاها الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

على طلبة قسم الدراسات القانونية، في جامعة الدول العربية سنة ١٩٥٥

الأستاذ أبو زهرة فقيه ضليع، وفرضي بارع، ومن شواهد ذلك محاضراته هذه في الفقه الجعفري، أو الإمامي الاثني عشري، وهو عالم سني. وقد اشتمل كتابه هذا على مباحث مهمة؛ أولها بيان الباعث على اختيار موضوع الميراث عند الجعفرية للدراسة، وفيه اختلاف وجهة النظر في الأحكام، وبيان أن تعدّد الآراء والمذاهب، ينشأ من سعة العلوم وتنوع المدارك، ومن مشتملات هذه المحاضرات: إلمامة بالشيعة، حياة الإمام جعفر الصادق ـ الميراث عند الإمامية الاثني عشرية ـ الوصايا النافذة ـ حقّ الوراثة ـ أنصبة الورثة ـ

ميراث القرابة ـ ميراث المرتبة الأولى من الأقارب ـ ميراث المرتبة الثانية ـ المرتبة الثالثة . والناظر في هذه المباحث التي عقدها لهذه المسائل ، يرى الفرق واسعاً بين المذهبين السنّي والشيعي في المواريث المستخرجة من النصوص ، المستنبطة من أدلتها ، دون الفرائض الصريحة المنصوص عليها ، التي لا لبس فيها ولا غموض .

قال المؤلف : « وعلى ضوء هذه الدراسة أيضاً ، نهجنا في ما كتبنا في أبواب الفقه ذلك المنهاج المستقيم ، وهو الاقتباس من هذه المذاهب ، والإشارة إلى ما نراه قويّ السند ، واضح المعتمد من آراء الشيعة ، كأقوالهم في أيمان الطلاق ، والطلاق الثلاث بلفظ الثلاث ، وعدم وقوع الطلاق البدعي ، واشتراط الإشهاد لإيقاع الطلاق ، ونحو ذلك من الآراء التي نرى في الأخذ بها إصلاحا ، ونجد في دليلها قوة ، ولا تتجافى عن المعاني الإسلامية جملة أو تفصيلا » .

(أقول) : الطلاق على هذا المنهاج القويم شرعي غير بدعي ، وهو ـ ولا ريب ـ سني شيعي ، أخذ به كثير من علماء الحديث وأئمة السلف وفقهاء المذاهب ، وهو منطبق تمام الانطباق على مذهب الشيخين ابن تيمية وابن القيم ، كما بيناه من قبل في فصل اختيارات شيخ الاسلام ( ص ٩٣ — ١٠١ ج ٢ ) من محاضرات المجمع العلمي ولو رعى الناس النصوص في أمر الطلاق حق رعايتها لضمنت لهم سلامة الأمر ، بل سعادة البشر ، وكتب الشيخين قد أشبعت هذا الموضوع بحثاً واستدلالا ، ولم تدع للمبتدعة فيه شبهة ولا مقالا ، بل أوردت جميع مقالاتهم فيه وأتت عليها نقضاً وإبطالا .

ولنعد إلى ما نحن فيه من الميراث الجعفري ، بإيراد أمثلة توضح الخلاف مع الميراث السنّي :

١ ـ الأخت الشقيقة تحجب الإخوة والأخوات للأب ، ولا يأخذون معها شيئاً ، بل يردّ عليها ؛ وان هذا يختلف فيه نظر الإمامية عن نظر أهل السنة

والجماعة ، فان أولاد الأب يرثون مع الشقيقات إذا كان نصيبهنّ بالفرض ، ولا تحجب الأخت الشقيقة أولاد الأب .

٢ — لو كان للمتوفاة زوج وأخ لأم وأخت شقيقة ، فان الزوج يأخذ النصف ، والأخ لأم السدس ، والشقيقة تأخذ الباقي ، ولو كان أقلّ من النصف لأنه لا عَوْل عندهم . وقد أجمعت الشيعة الإمامية على أنه لا ردّ على أولاد الأم مع وجود الشقيقات لأنه تضافرت الرّواية عن أئمتهم في ذلك .

٣ — إذا كان للمتوفّى أبو أم ، وأبو أبي أب ، فان الميراث كلّه لأبي الأم ، لأنه أقرب درجة ، وقد انفرد في طبقته فلا يشاركه فيها أحد .

٤ — لو كان أحد الزوجين مع الأب والأم ، فان الأم تأخذ ثلث الكل ، وأحد الزوجين يأخذ فرضه ، والأب يأخذ الباقي . ( أي للزوج النصف ، وللأم الثلث ، وللأب السدس ، وهو الباقي ) .

نكتفي بهذا القدر ، وإنني أطيب الثناء على معهد الدراسات العربية العالية ، فقد سار في طريق جمع فيه بين السنة والشيعة في الميراث ، وهما أكبر مظهر للمسلمين اليوم . وقد ختم المؤلف كتابه بقوله : ونضرع اليه سبحانه أن يجمع شمل المسلمين فقد طال عهد الفرقة ، إنه سميع مجيب . ونحن نؤمن على دعاء هذا الأستاذ الكبير الذي زرناه بداره في الإسكندرية بهذا العام ( ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م ) فوجدناه من رجال العلم والإصلاح .

وكنا نرجو أن يوضع جدول لبيان ما وقع من سهو قلمي أو مطبعي ، واني أصوّب ما رأيته من ذلك : ( ص ٢ س ٨ ) : على أن يدرس ، (٣/ ١١) : غيره ، ( ١٧ في الذيل ) : « وما » « ادعوهم » ، ( ٢٠ / ٢ ) : فلمّا ( مكررة ) ، ( ٢٩ في الذيل ) : الباقر ، ( ٣٠ / ٢٠ ) : القياسيّين ، ( ٣٠ / ٢١ و ٢٢ ) : كأبيه ، ( ٣٢ / ١٢ ) : وولده ، ( ٤٠ / ١٤ من الذيل ) : ولم يقدم تجهيزه

وتكفينه فقط ، (٤٣ / ٢١) : أنّ هناك رأياً ، (٤٤ / ١٢) : لأن يتلك ، (٤٧ / ٦ من الذيل) : حق استخلاصها فقط ، (٥٢ / ٩) : « ببعض » ، (٥٨ / ٤) : بل تأخذ الفريضة الشرعية فقط ، (٧٦ / ١) : ليست لهم ، (٨٨ / ٣) : « يوصيكم » ، (٨٨ / ١٠) : فاعتبروا ، (٩٢ / ٨) : « وورثه » ، (٩٦ / ٧) : الدلاء ، (٩٨ / ٢٣) : السنة ، (٩٩ / ٩) : والجدات ، (١٠٣ / ١٩) : لا تتجاوزه ، (١٠٤ / ١٩) : الخمسين ، (١١٢ / ١٨) : اثنتين ، (١٢٢ / ١٤) : للجد ، (١٣٢ / ٢) : أحكام ، (٣٥ / ١٥) : إذا ترك ، (١٤٠ / ١٠) : السنيين .

## محاضرات في تاريخ الفقه الإسلامي

### الجزء (٢) عصر نشأة المذاهب

ألقاها الدكتور محمد يوسف موسى على طلبة قسم الدراسات القانونية سنة ١٩٥٥ م

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رعى الله معهد الدراسات العالية في جامعة الدول العربية ، فقد طلع علينا - وهو حديث النشأة - بكتب ذات شأن ، في التوجيه العربي الصحيح ، والتشريع الاسلامي القويم ، المستمد من نصوص كتاب الله الحكيم ، ومن السنة النبوية القولية والعملية ، وأمامي الآن الجزء الثاني ، من تاريخ الفقه الإسلامي ، وهو محاضرات ألقاها الدكتور محمد يوسف موسى على طلبة قسم الدراسات القانونية ، وكانت ظهرت الحلقة الأولى منذ عام ، وكان موضوعها « فقه الصحابة ، والتابعين » . وهذه الحلقة الثانية في « عصر نشأة المذاهب » والتيارات التي سبقتها ، والعوامل التي أدّت اليها . وقد أدار البحث في هذه الرسالة على خمسة أقطاب ، جعل الأول منها « تمهيداً عاماً » مذكراً بتطور الفقه ، وبطرق الأحكام أيام

الصحابة والتابعين ، الى أن انتهى منه ببيان أنه كان لا بدّ من الاختلاف في الآراء ، وطرق أخذها واستنباطها ، وبيان الأسباب الرئيسية لهذا الاختلاف . (والثاني) «زمن أتباع التابعين» وفيه بيان طرقهم الفقهية وطبقاتهم ، وأثر العباسيين في الفقه ، وتدوين السنة وأثره ، وتدوين الفقه .

(٣) «النزاع في أصول الفقه وأدلته» وما كان لذلك من نتائج في الفقه نفسه وأحكامه ، وفي المذاهب التي قامت فيما بعد .

(٤) مصطلحات الفقه وأصوله ، وفيها بحث المراحل التي مرت بها حتى تم تدوينها برسالة الإمام الشافعي .

(٥) «خاتمة البحث» ونتائجه ، وفيها الإشارة الى المذاهب التي انقرضت ، والمذاهب التي قامت بعدها .

ومن أمتع ما جاء في هذه المحاضرات ، رسالة إمام دار الهجرة مالك بن أنس إلى فقيه مصر ، الليث بن سعد ، وجواب هذا له ، وهما مثالان رائعان من علم السلف وهديهم . هذا وجدير بطلاب العلوم الدينية والمدنية ، ان يقفوا من مثل هذا الكتاب على قواعد الفقه الإسلامي وشواهده ، لا سيما ما لا نصّ فيه — كالقياس والاستحسان — وعلى مصطلحات الفقه وأصوله ، وأول من دوّن فيه ، وحاجة الفقيه اليه .

وجملة القول : إن هذه الرسائل التي ينشئها أساتذة «معهد الدراسات العالية» هي من خير الرسائل وأهداها الى ما يجب على العلماء الاطلاع عليه ، والسير مع طلابهم فيه ، ليكونوا جميعاً واقفين على أسرار التشريع ، وكنه الزمن وحاجة الأمة ، ولتكون فتاويهم وأحكامهم هادية إلى حفظ وحدتها ، وتنمية ثروتها ، وحماية حوزتها ، ودفع عوادي الشر عنها ، مع إثبات أن ذلك هو الذي يقتضيه هدي الإسلام ، وترشد إليه آيات القرآن ، ثم ختم الكتاب ببيان المراجع التي أوردها تحت عناوين سبعة ، وهي القرآن والحديث ، أصول الفقه ، الفقه ، بحوث فقهية حديثة ، تاريخ الفقه ، تاريخ وتراجم ، مراجع عامة .

هذا وقد قال الأستاذ المؤلف عن « المصالح المرسلة ، أو الاستصلاح » تفرد به مالك بن أنس وأصحابه ( ص ١٠٢ ) . والصواب أنهم لم يتفردوا به . ومن أنفع ما ألف في موضوع « المصالح المرسلة » رسالة للشيخ نجم الدين الطوفي الحنبلي ( المتوفى سنة ٧١٦ هـ ) وقد طبعت بدمشق ومصر .

قال المؤلف ( في ص ١٤٢ ) : وفي السنة أخيراً نجد قوله ( ﷺ ) « ما رآه المسلمون حسناً ، فهو عند الله حسن » . قلت ما هو بحديث مرفوع ، بل هو موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه ، رواه أحمد في كتاب السنّة ( لا في المسند ) وفيه زيادة ، وأخرجه البزار والطيالسي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الاعتقاد موقوفاً على ابن مسعود أيضاً . ( راجع كشف الخفاء )

اكتفى الدكتور بتصحيح كلمة واحدة من كتابه ، وترك الباقي إلى فطنة القارئ ، وهي ( ابن أبي ليلى ) وكتبت خطأً ( ابن أبي يعلى ) . وعندنا أن الصواب ، بيان الخطأ والصواب ، ليكون القارئ على بينة من أمره ، وإني مورد صواب ما رأيته من خطأ ، عناية بالكتاب وقرائه :

( ص ٢٦ س ٩ ) : بعدُ ، ( ١٧/٢٧ ) : أن يلقاه ، ( ١/٣٨ ) : وأشهراً ، ( ١٥/٤٣ ) فقط : مقدمة عن موضعها ، ومحلها قبل : بل نشط الخ ، ( ٣/٦٥ ) : واسم أبي الزناد ، ( ٧٥ في الذيل ) : الفلسفة ، ( ٩١ في الذيل ) : أحكام ، ( ٧/٩٤ ) : الزهري ، ( ٢١/١٠٠ ) : سهماً واحداً ، ( ١/١٠٥ ) : هذا المذهب ، ( ٩/١٣٧ ) : بينهما ، ( ٩/١٥٠ ) : « واستشهدوا » ، ( ٢٠/١٥٣ ) : أن بعضه ، ( ١٢/١٥٤ ) : ان منه فرضاً أو واجباً ، ( ١٥٧ في الذيل ) : شيء ، ( ٢١/١٦٢ ) : وخبرتهم ، ( ٥/١٦٥ ) : شيئاً . ( وفي ذيل الصفحة ) : العاد ( مكررة ) ، ( ١٦٧ ) : رقم ١ و ٢ ، ( ٩/١٧٠ ) : الاجتهاد .

محمد بهجة البيطار

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

## موجز أمراض الجملة العصبية

### تأليف الدكتور حسني سبح

أستاذ الأمراض الباطنة وسريرياتها في كلية الطب بدمشق
وعضو المجمع العلمي العربي

الطبعة الأولى . عدد صفحاته ٤١٦ . طبع بمطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٣

إذا حق للجامعة السورية أن تفخر بما أسدته الى اللغة العربية من الخدمات الجلى من حيث جعلها لغة التدريس الوحيدة في جميع كلياتها على وفرة عددها وتنوع علومها واختلاف فروعها ومباحثها وفنونها وأعمالها . فهي لا تزال في عجز من حيث السير قدُماً بمؤلفاتها مع هذه العلوم التي هي كل يوم في شأن وكل حين في تقدم . وانه ليسرني أن أشيد اليوم بجهود زميلي الدكتور حسني سبح الذي لا يألُ جهداً في سد هذا النقص في مؤلفاته في الأمراض الباطنة التي تجاوز عددها خمسة عشر مجلداً ضخماً خلال سنين معدودات . وقد اطلعت أخيراً على موجزه في أمراض الجملة العصبية فألفيته يتمشى مع سير هذا العلم ورقيه كما انه يراعي مقتضيات مصلحة الطالب والمراجع من حيث الإيجاز والوضوح وسهولة التعبير وحسن العرض ووفرة الصور والرسوم والجمع بين بعض العلامات والتناذرات المتشابهة في جداول خاصة يسهل على المطالع معها التمييز بينها .

وقد بدأ المؤلف هذا الموجز بمنهاج فحص المريض وتدوين المشاهدة والبحث عن الأعراض وتعليلها ثم أخذ يدرس بالتتابع الأعراض الشخصية والمروية وأمراض العضل وأمراض الجملة العصبية المحيطة وأمراض السحايا والنخاع الشوكي وعلل المخ وأخيراً بحث في اضطرابات الجملة العصبية الإنباتية والغدد الصم . واختتم هذه الأبحاث في العلل العصبية الوظيفية والطب النفسي البدني .

والكتاب حسن الطبع . جيد الورق . يجد فيه كل طالب بغيته . وكل مراجع غايته . فنرجو للمؤلف دوام التوفيق في عمله في خدمة اللغة والعلم .

الدكتور أسعد الحكيم

## أعلام العرب في العلوم والفنون

### لمؤلفه عبد الصاحب الدجيلي

يقع في جزئين ، عدد صفحات الجزء الأول منه (٢٠٤) صفحات والثاني (١٨٧) صفحة من قطع الوسط ، طبعا في النجف عام ١٩٥٤

جمع المؤلف في هذين الجزئين تراجم أعلام العرب في العلوم والفنون وقد بلغ مجموع هذه التراجم (٢٢٣) ترجمة . وغاية المؤلف من عمله هي الإشادة بعلماء العرب والنابغين منهم وإظهار قدرة العرب على الإبداع الفكري وعنايتهم بالقيم الخلقية والروحية ومساهمتهم الكبيرة في بناء الحياة العلمية وفضلهم على تقدم الحضارة البشرية ، ردًّا منه على الشعوبيين الذين أنكروا على العرب فضائلهم وعبقريتهم ورموهم بالعقم الفكري وزعموا أن الحضارة العربية ونهضتها العلمية هي من بناء غيرهم من الشعوب الذين خضعوا لسلطانهم ، وان إقبالهم على الغزو والفتوحات يفوق إقبالهم على العلوم والفنون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إني أكبر شعور المؤلف وأدرك نبل غايته ولكنني أعتقد أنه أخطأ الهدف بحصره أعلام العرب بهذه القلة التي يجد فيها خصوم العرب حجة يعززون بها أباطيلهم . إن ثقافة الأمة العربية هي مثل غيرها من الثقافات وحدة لا تتجزأ ، يدخل في حضيرة حملة مشعل علومها كل من كتب بقلمها وفكر بعقلها وساهم في تقدم ثقافتها مهما كان عنصره ، ولا يصح أن تدرس ثقافة أمة على هذا الأساس العنصري ، وأخشى إن سلمنا بنظرية المؤلف أن يضبق الشعوبيون عيون مخلهم فينازعوننا في هذه القلة بعض من جزم المؤلف بصحة عروبتهم ، وعلينا أن لا ننسى أنه ما زال بيننا من يقول بآشورية العراق وآرامية الشام وفينيقية لبنان وفرعونية مصر وبربرية المغرب ويحصر العنصر العربي في جزيرته

وكل ما عداها في نظره دخيل عليه . ولو ذهبت أي أمة هذا المذهب في استقصاء حسب ونسب أعلامها لما سلمت من العقم .

وحسب العرب فخراً وعظمة انهم حملوا الى العالم مشعل نور الحضارة وحببوا الى أمم المشرق والمغرب لغتهم وثقافتهم وحملوا اليها أساليب تفكيرهم وصهروا من نبغ منهم في بوتقة العروبة ، فليس من حقنا اليوم أن ننبذ من حضيرة العروبة من قبلوا مختارين الانضواء تحت لوائها .

إن هذه الملاحظة الشخصية التي أوردتها لا تنقص من قيمة هذا الكتاب ولا تقلل من فائدته فهو قيم في موضوعه مفيد في أسلوبه فنشكر للمؤلف جهده ودقة استقصائه .

جعفر الحسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## الصحافة في العراق

هي محاضرات ألقاها الأستاذ رفائيل بطّي على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية الذي أنشأته جامعة الدول العربية بالقاهرة .

والأستاذ رفائيل بطي من أبرع رجال الصحافة في العراق في فن الصحافة ، ومن أحرصهم على تتبّع الحركات الأدبية والسياسية في بلاد العرب ، ومن أعرفهم بأدباء العرب المعاصرين ، وقد رافق تطوّر العراق في نهضاته السياسية والاجتماعية والعلمية ، ولذلك كان أجدر الناس في الكلام على الصحافة في العراق .

وقد ألمّ الأستاذ المحاضر بالفعل إلماماً وافياً بنشأة الصحافة في العراق وتطورها ، وما كان لها من الآثار في صفحات الحياة في العراق من سياسة واجتماع وأدب ، وقد تكونت عنده فكرة منذ زمن بعيد أن تاريخ الصحافة العربية يصور بعض مظاهر اليقظة ودرجات النهوض للعالم العربي .

وينحصر نطاق بحث المحاضرات – كما ذكر الأستاذ في تمهيده – في نشوء الصحافة في العراق بظهور أول جريدة بمعناها الصحفي سنة ١٨٦٩ ، وفي صحافة العهد العثماني قبل انفصال العراق عن تركية ، وفي صحافة الاحتلال البريطاني ، وفي صحافة الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، وأخيراً في استعراض حال الصحافة منذ تأسيس مملكة العراق الحديثة سنة ١٩٢١ ولا سيما صحف الأحزاب السياسية .

ولم يغفل الأستاذ المحاضر تنوع الصحف الأدبية والعلمية في العراق، وغيرها من المجلات المختصة بالعلوم والفنون ، وأساليب الكتابة الصحفية ومشاركة المرأة، كما أنه خص حرية الصحافة العراقية ببحث واف ممتع .

ويشهد مطالع هذا الكتاب بأن مصنفه كاتب واقعي منصف يذكر لكل صحافي عراقي يبحث عنه ماله من حسنات وفضل ، وماله من هفوات سياسية بأدب لسان ، وحسن بيان .

ويظهر أن الذين أشرفوا على طبع هذه المحاضرات لم يعنوا بمعارضة خبراتها ( بروفاتها ) معارضة صحيحة ، فوقع في الكتاب هفوات مطبعية منها ( ص ١٨ ) : « وعهدت بتحريرها الى موظفون » ، وفي ( ص ٥٨ ) : « وهم يتدابرون الخطط للثورة » ، وفي ( ص ٦٧ ) : « أهكذا يكون جزاء الذين رفوا مقعد حكمك » والصواب رفعوا ، وفي ( ص ٧٩ ) : « ولقد ارتأى الزعماء المحترمين الناهضين لنهطير بلادهم » ، وفي ( ص ٩٩ ) : « تسابق هؤلاء الجيران المكتشفون بالعراق » وفي ( ص ١٠٠ ) : « إصداره جريدة باسم ( العهد ) وهو الاسم التاريخ المحبب » والصواب ( التاريخي ) ، وفي ( ص ١١٨ ) : « وصوتها الداوي صداها » والصواب ( المدوّي ) ، وفي ( ص ١٣٣ ) : على حد القول المأثور ( اللهم تفتح اللهاة ) ، وصواب القول ما ذكره الزمخشري في أساس البلاغة قال : ( ومن المجاز « اللّهى تفتح اللّهى » أي العطايا ) ، وأصل اللُّهوة مقدار ما يطرح في فم الرحى وتجمع على لُهى ، قال عمرو بن كلثوم يصف رحى الحرب :

يكون ثقالها شرقيّ نجد ولهوتها قضاعة أجمعينا

أما (اللهى) بفتح اللام فجمع لهاة المعترضة في الحلق ، ومعنى هذا القول المأثور : الإحسان ينطق اللسان ؛ ومن هفوات اللغة (ص ٩٦) : « أوقفها على مناقشة المعاهدة » ، و (ص ١٣١) : « أشغل حيزاً بارزاً » والصواب : وقفها وشغل حيزاً بدون تعدية ، ومن هذه الهفوات المطبعية (ص ١٣٢) : « ومقالاتها وشذاراتها » والصواب (وشذراتها) ، وفي الصفحة نفسها : « وإذا عطف ذمام الحديث » والصواب (زمام) كما لا يخفى .

لقد سدّ الأستاذ رفائيل بمحاضراته النفيسة هذه فراغاً هو أجدر الناس بسدّه ، وقد عرفناه في العراق مثال الأديب العراقي الناهض ، والصحافي المنصف البارع ، فهو أولى الناس بتحديث أبناء قومه العرب بما في العراق الشقيق من نهضة صحافية وعلم وأدب .

## اللسان الحديث

للأستاذ يوسف سعادة — منشورات الحكمة

الأستاذ يوسف سعادة من أساتذة العربية بلبنان ، وقد ذكر في مقدمة كتابه هذا أنه كان يشعر ، وهو تلميذ ، بصعوبة قواعد العربية ، ويتمنى أن يعالج المعلمون موضوع تيسير تعليمها ، ثم أصبح التلميذ معلماً ، فحاول تعديل الصعب من هذه القواعد في كتابه هذا الذي أسماه (اللسان الحديث) ؛ على اني أرى أن مردّ هذه الصعوبة يرجع الى عاملين : أحدهما سيطرة العامية على الفصحى بغلبة الأميين في بلاد العرب ، والثاني ضعف أساليب التعليم ، بضعف المعلم والمفتش ، فالمعلم البارع هو الذي يحبّب طلابه بدرس العربية ، والمفتش البارع هو الذي يحسن النقد والتوجيه ، وقد حرمت المدارس منهما إلا قليلاً .

وطريقة التأليف التي اتبعها أن يذكر القواعد والشواهد على مذهب الجمهور، ثم يذكر التعديل في آخر البحث، فمن القواعد التي عدّلها:

تعديل حركة عين المضارع الثلاثي، وحركة همزة الأمر، وتعديل فاء السببية، والفاعل، و (ما) المشبهة بليس، وخبر أفعال المقاربة المقرون بأن جوازاً ووجوباً، وتعديل (إن) وأخواتها، وضمير الشأن، ولا سيما وخلا وعدا وحاشا، واسمي المكان والزمان، وتعديل الأعداد، والاسم الممنوع من الصرف، واسم المفعول المتحول عن صيغته، وأفعال المدح والذم!

إن تعديل قواعد العربية نحوها وصرفها من خصائص المجامع العلمية، ولا يتم لها ذلك إلا بمؤازرة وزارات المعارف العربية مؤازرة صادقة، وإلا كانت هذه التعديلات مجرد اقتراحات نظرية، كما حدث في مؤتمر بيت مري سنة ١٩٤٧ فانه لم يُعمل بشيء من إصلاحاته.

وإذا كانت الجماعات قد يخفى عليها الصواب، فما قولك بالفرد الذي لا يجد من يناقشه ليأمن العثار، أذكر مثالاً لذلك ما وقع في هذا الكتاب قوله: (ص١٥):

«حركة عين المضارع الثلاثي الضمة: يعظُم، ينظُر، يشرُب» ثم نقض هذه القاعدة (ص ١٨) في حركة همزة الأمر بقوله: «تكون مضمومة إذا كانت عين المضارع الثلاثي مضمومة: أُنصُر من ينصُر» وعلى هذه القاعدة كان يجب أن يقول (أُشرُب من يشرُب)، فقد ضم الراء من مضارعها(ص١٥).

ويقول في تعديل (ما المشبهة بليس) ص ١١١ ما نصه: «إن ما المشبهة بليس تكون مهملة، ويقال لها التميمية: ما أخوك جبان». وترك ما الحجازية وهي الفصحى لغة مضر.

وأذكر من أمثلة التحقيق في التعديل قوله (١١٣) ما نصه: «تدخل (أن) وجوباً على خبر أفعال القرب والرجاء: كاد الفجر أن يطلع ...»

والقرآن يقول : « يكاد البرق يخطف أبصارهم » ولم يدخل أن ـ وجوباً ـ على خبر كاد ، ويقول ابن مالك :

وكونه بدون ( أن ) بعد عسى نزر و ( كاد ) الأمر فيه عكسا

أي ان اقتران خبر ( عسى ) بأن كثير وتجريده من أن قليل بعكس ( كاد ) فيكون الكثير في خبرها أن يتجرد من ( أن ) ويقل اقترانه بها ، وجاء في القرآن أيضاً : « من بعد ما كاد يزيغ فريق منهم » ، ولعل المؤلف أوجب دخول ( أن ) للاصلاح والتعديل !

وفي تعديل الأعداد ( ص ٢٥٩ ) يجعل حكمها أن تطابق معدودها في التذكير والتأنيث تقول : كاتب واحد وكاتبتان اثنتان ، وثلاث كتب ، وأربعة مجلات ، وخمسة عشرة ريشة ، وستة وعشرون مسطرة ، وثلاث وثلاثون قلماً . » ، ومثل هذه التعديلات يجنح اليها أيضاً من يرون من تسهيل العربية أن تكتب بالحروف اللاتينية ، ولو فصموا عرى الوحدة القومية بين العرب .

ومن أغلاط الطبع التي لم تذكر في جدولها اعرابه في ( ص ٢٥٨ ) : « طالعت الأربعة والعشرين فصلاً » : الاربعة مفعول به ، والعشرين معطوف بالواو على ( الأربعة ) تبعه في الرفع ، وعلامة رفعه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، والنون عوض عن الحركة والتنوين في الاسم المفرد ، ( فصلا ) تمييز ، فتأمل !

وكثيراً ما يستشهد المؤلف بنصوص من القرآن مشوهة كقوله ( ص ٣٢٢ ) : « فأوصينا اليه أن اصنع الفلك ... » ، وفي ( ص ٣٢٥ ) استشهد بآية « هديناه السبيل إمّا شاكراً وإما كافرا » ، والتلاوة في الآية الأولى : فأوحينا ... ، وفي الثانية : واما كفورا . وهو الى تبديل النصوص القرآنية أقرب منه الى الأخطاء المطبعية ، وكأن هذا التبديل من ذلك التعديل !

التنوخي

# كنوز الذهب في تاريخ حلب

تأليف سبط ابن العجمي

الجزء الثاني – ١٩٥ صفحة – دمشق ١٩٥٠

Les Trésors d'or, de sibt ibn Al-ʿAjami

Tome II, 195 pages, Damas 1950 (IFD.)

عني الأستاذ المستشرق الفرنسي جان سوفاجه بمدينة حلب عناية كبيرة خلال سنين طويلة قضاها في البحث عن عمرانها وتطورها من حيث البناء، وما تحويه من آثار وكتابات ونقوش. ونشر في سبيل ذلك عدداً من الدراسات لا تخفى على الباحثين في تاريخ المدن. وقد قام بترجمة ابن الشحنة الى اللغة الفرنسية، فكان الجزء الأول لما سمّاه: «المواد الأولية لتأريخ مدينة حلب».

وهذا هو الجزء الثاني، ترجم فيه كتاب «كنوز الذهب في تاريخ حلب» لسبط ابن العجمي، معتمداً على نسخة خطية قديمة لما تنشر بعد. ومؤلف الكنوز هو أبو ذر أحمد بن ابراهيم بن محمد بن خليل؛ الشيخ موفق الدين الشهير بسبط ابن العجمي؛ ولد في حلب سنة ٨١٨ هـ، ودرس فيها، وألف عدداً من الكتب في شرح الجامع الصحيح للبخاري، والاسطرلاب، وفضائل الشيخين، وهذا الكتاب.

وكنوز الذهب مصدر هام لتاريخ العمران في حلب خلال القرون الوسطى، صوّر فيه تطور البناء وما طرأ عليه من تبدل وتغيير، وما حلّ به من نكبة خلال هجمات تيمورلنك، وفي الكتاب قائمة بالأبنية العامرة، وثبت بالمساجد والجوامع والحمامات والخانات، جمله على غرار «الأعلاق الخطيرة» لابن شدّاد، وأكمل ما جاء فيه، وأورد سيراً وحكايات تتعلق بتاريخ هذه المدينة. ولكن المستشرق الفرنسي حذف ما يخص الأدب والحكاية، وأشار إلى ما حذف

في اختصار ، كأنه يريد أن يصرف اهتمام الباحث العربي إلى الناحية العمرانية في الكتاب فحسب .

وهذا المستشرق كان على علم بموضوعه واقفاً على ما جاء فيه ، لهذا جاءت ترجمته دقيقة ، وتعليقاته صحيحة ، وقد ذيل هذا الجزء - كما ذيّل الجزء الخاص بابن الشحنة قبله - بترجمة الألفاظ الفنيّة في العمران مثل بادهنج وبوب وحوش ، وغيرها من كلمات ما تزال على ألسنة الحلبيين الى اليوم مع شيء من التحريف أو الإمالة .

وقد طبع المعهد الفرنسي بدمشق هذه الترجمة بعد موت الأستاذ المستشرق ، ووقف همّه على إخراجه صورة شبيهة بالجزء الأول ، على ما بين صدور الجزءين من زمن ، فجاء خلواً من التعليقات المطولة إلاّ ما جاء في كتابي الشيخ راغب الطباخ والشيخ كامل الغزي ، فقد جعلها المترجم أساساً يرجع إليه في تحقيق بعض الأعلام والاشارة الى بعض الحوادث . وما يزال الكتاب في انتظار محقق باحث يشرف على إخراج المخطوطة إلى ميدان النشر العلمي محلاّةً بالتعليقات والتنبيهات والاشارات على ما جاء فيه من حكايات وقصص لا تقف للبحث العلمي ولا تثبت للنقد التاريخي . وقد جمع المؤلف في القرن التاسع الهجري كل ما وقع له من تاريخ حلب عن المدارس وشيوخها ومحدثيها وفقهائها على اختلاف مذاهبهم من حنفية وشافعية ومالكية وحنابلة ، وما كانوا يقرءون من كتب وما يتداولون من مراجع ومظان في الفقه والحديث الشريف . وما نظن أن المستشرق سوفاجه ممن يعنون بهذا أو يجوّدون فيه ، فذلك بجهد الناشرين من علمائنا أجدر وهم به أحق . ولسنا بهذا نقلّل من أهمية هذه الترجمة الدقيقة فقد جعلها صاحبها لرجال الهندسة المعمارية والتاريخ العمراني ، فأصاب كبد الموضوع واستحق جهده التنويه والذكر .

ARCHIVE

# ديوان أبي الأسود الدؤلي

## تحقيق الأستاذ عبد الكريم الدجيلي

٢٨٥ صفحة – طبع ببغداد سنة ١٩٥٤

يقول الجاحظ في أبي الأسود الدؤلي : «أبو الأسود معدود في طبقات من الناس ، وهو في كلها مقدَّم مأثور عنه الفضل في جميعها . كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدّثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة ، والنحويين والحاضرين الجواب والشيعة والبخلاء ...» وناشر الديوان قد تمشّى مع قول الجاحظ ، فأفرد لكل صفة فصلاً خاصاً بها ، فجعل مقدمته في ثلاثة عشر فصلاً ، حلّل في كلّ منها ما كان عليه أبو الأسود الدؤلي من وقوف على الفقه والحديث والنحو ومن ميل الى التشيع والبخل والدهاء والشعر ، حتى تجاوزت هذه المقدمة مئة صفحة ، فكانت دراسة في نواحي الرجل لا تمهيداً للديوان فحسب . وعنده في ذلك أن المعاصرين لم يخصوا هذا العالم بكتاب ، ولم يفردوا له بحثاً مطولاً ، فهو أول بحث في العربية لأيامنا هذه .

وقد كان في الظن أن يتناول حياة الرجل كلها جملةً وتفصيلاً ، ثم يعكف على أدبه وشعره وشخصيته وأثر ذلك في الديوان . ولكنه فعل كما يفعل كثير من الناشرين ، إذ تطرّق الى النواحي كلها وقسّمها مشابعة للجاحظ فألزم نفسه بذلك إلزاماً خرج به في بعض الفصول عن ميدان التوفيق .

وهو حين بلغ إلى شاعرية الرجل أورد رأي المستشرق الألماني نولدكه حيث يقول فيه : «وبصورة عامة فان شعره ضعيف من ناحية المعنى ومن ناحية القيمة الشعرية ، وفي قليل من المواضع يرتفع شعره أو يكون اعتيادياً على الأقل» . ثم قال الأستاذ الدجيلي يدلي برأيه : «أما نحن قد حكمنا على

شعر أبي الأسود فلم نجد له مكاناً بين الشعراء الخالدين والأفذاذ الموهوبين الذين لا يأتون إلا على رأس قرن أو قرنين» . ثم يقول : «فهو في الواقع ناظم لا شاعر» .

وهذا حكم جيد يطالعه السيد عبد الكريم الدجيلي أستاذ الأدب العربي بدار المعلمين ببغداد ، فكأنه يريد أن يقول إنه عُني بالديوان عناية فائقة لا لأن الرجل شاعر كبير ، بل لأن لهذا العالم جانباً كان مغفلاً مطوياً فوضحه ونشره في الأدباء . وقد فعل ذلك بهمة لا تعرف الكلل ، على اعتقاده بضعف الشاعرية عند أبي الأسود ، ولعله حقق الديوان عوناً للتاريخ الأدبي أو تاريخ النحو ، ليبسط أمر الرجل ويشارك في تعريفه .

وقد ظهر أثر هذا الجهد في هذه المظان الكثيرة التي تقع عليها في كل صحيفة من الديوان سواء في المقدمة أم في حواشي المقطعات والقصائد . وعمد إلى ثلاث مخطوطات أولاها نسخة ليبتسك وثانيتها نسخة الأب أنستاس الكرملي وثالثتها نسخة الشيخ محمد السماوي . وأقدم هذه النسخ هي الأولى ولكنها لا ترقى في خطها إلى أبعد من ثلاثة قرون ، وهذه النسخة نفسها حصل عليها منقولة بقلم الدكتور سليم النعيمي . وقد نشر صوراً شمسية عن هذه النسخ الثلاث وبسط أمرها ، وحكى قصة حصوله عليها ، ثم نشر الديوان وعلق عليه تعليقات مطولة ضافية ، فلما انتهى من المخطوطة جعل بعدها ذيلاً للديوان نشر فيه كل ما وقع عليه في كتب الأدب والتاريخ من شعر أبي الأسود الدؤلي ، فاستقصى بذلك استقصاء يحمد عليه ، ويستحق له الأجر والثواب .

وأضاف إلى الديوان وذيله شروحاً لغوية موسعة ، وأتبع ذلك بفهرس للأعلام ، فاستوفى حق النشر العلمي ، واضطلع بتحقيق الديوان في أمانة ودقة . وإذا كنا نأخذ عليه في الذيل إعادة الشعر الذي جاء في صلب الديوان

والإفاضة في سرد الفوائد التاريخية فإننا نرى أن الناشر خاف أن تفوته الشوارد فاصطادها ليظهرنا على جهده وعنايته وهما ظاهران .

وقرّاء الأدب يملكون الآن ديوان عالم نحوي لغوي يستطيعون أن يرجعوا اليه ليروا كيف كان شعر العلماء في النصف الثاني من القرن الأول الهجري بالعراق ، ويستطيعون أن يقرءوا الشعر وأن يحللوه وأن يظهرونا على هذه الألوان والصيغ التي نظم بها أبو الأسود ديوانه إذا صحّت نسبته كله اليه . والناشر الكريم لم يعرض لصحة الشعر ودقة نسبته إلى هذا العالم بالمناقشة العلمية ، ولم يوغل في نقد الشعر وبيانه وموازنته بالعصر الذي قيل فيه ، والمفاضلة بينه وبين شعر العلماء والأدباء لذلك العصر في العراق ، ولو فعل لكان جهده كاملاً ، ولكن الكمال لله وحده .

الدكتور سامي الدهان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## بلدان الخلافة الشرقية

تأليف : لسترانج

وتعريب : بشير فرنسيس و كوركيس عواد

في ٥٨٨ صفحة – بمطبعة الرابطة ببغداد سنة ١٩٥٤

البروفسور غي لسترانج مستشرق انكليزي معروف ، مات في سنة ١٩٣٣ عن عمر ناهز الثانين سنة ، قضى أكثره في خدمة علوم الاستشراق والدراسات الاسلامية ، والخطط والبلدانيات العربية ، وألف عدة كتب في التاريخ الاسلامي وجغرافيته ، وكتب دراسات متعددة في فن الخطط العربية وعلم البلدانيات ومن أجل آثاره هذه :

فلسطين في عهد المسلمين .

بغداد في عهد الخلافة العباسية .

بلدان الخلافة الشرقية .

كما نقل بعض كتب الجغرافية العربية والفارسية الى لغته الانكليزية مثل :

الجزء الخاص بفلسطين من كتاب «أحسن التقاسيم» للعلامة المقدسي .

والجزء الخاص باقليم فارس من كتاب «فارسنامه» لابن البلخي . وله ، غير هذا ، ترجمات وبحوث أخرى تتعلق بالآداب العربية والفارسية ، وهي كلها تدل على علو كعبه في الاستشراق بصورة عامة ، وفي علم البلدانيات والجغرافية بصورة خاصة .

★ ★

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما المعربان فهما الأستاذان الفاضلان بشير فرنسيس أحد أفاضل علماء العراق المحدثين ورجاله المنكبين على الدراسة والبحث والترجمة ، وهو الذي ترجم في سنة ١٩٣٦ كتاب «بغداد في عهد الخلافة العباسية» للبروفسور غي لسترانج ، وكوركيس عواد ، الباحث المنقب ، والمؤلف العراقي المعروف بدقته في بحوثه ، وحسن استيعابه ، وأمانته في ترجماته .

★ ★

والكتاب الذي ترجماه هو من عيون ما كتبه العلماء المستشرقون مما يتعلق بتاريخنا العربي وجغرافيته ، وقد قرأت الترجمة فأعجبني أسلوبها المشرق ، ودقتها الصادقة البارعة ، وقد تجلى لي مقدار العناء الذي عاناه المترجمان الفاضلان برجوعهما الى الأصول العربية التي رجع المصنف اليها ، فوجدت أن عملهما جدير بكل ثناء ، ولا يسعني بهذه المناسبة إلا أن أطلب اليهما أن يعملا على ترجمة كتاب ( فلسطين في عهد المسلمين ) لمصنف لسترانج فان هذا الكتاب متمم لأخويه ، وحاجة الخزانة العربية اليه هي حاجة ملحة ، فان ما بقي من تراث علمائنا القدماء في فن البلدانيات والجغرافية الاسلامية هو شيء يسير وناقص فيجب أن نتممه بتعريب ما ألفه المستشرقون في هذا الباب .

إن فن البلدانيات والخطط الاسلامية ، هو فن جليل الخطر كثير الأهمية ، وكتب أسلافنا القدماء رحمهم الله في هذا الفن - على وفرتها - قد ضاع كثير منها ، والذي لم يَضِعْ محتاج الى النشر ، والذي نشر محتاج الى تمحيص ونخل وتبويب وترتيب .

وما أعلم أن أحداً من علمائنا المتأخرين انصرف الى دراسة هذا الفن دراسة جدية وافية ، مثل الدراسة التي انصرف اليها العلامة الانكليزي المستشرق لسترانج ، ولكن الرجل لم يستطع أن يوفي هذا البحث ما يستحقه من العناية والتوسع ، كما انه لم يستطع أن يؤلف فيه كل ما يجب أن يؤلف ، فقد ذكر

في مقدمة كتابه ( بلدان الخلافة الشرقية ) : « حاولت في هذه الصفحات أن أجمع في مجلد معتدل الحجم ما تفرق من أخبار في مؤلفات جغرافيي القرون الوسطى ، العرب والفرس والترك ممن وصف بلاد العراق والجزيرة وفارس والأصقاع الدانية من آسية الوسطى ، وما نقلت عنه من مراجع يبدأ بمصنفات المسلمين الأقدمين وينتهي بالمؤلفين الذين وصفوا استيطان هذه البلدان فيما بعد وفاة تيمورلنك - أي بعد الفتوحات الكبرى في آسية الوسطى - ففي وسعنا القول ان بالقرن الخامس عشر للميلاد ختمت العصور الوسطى في آسية . وما الكتاب الذي أضعه بين أيدي القراء إلا تكملة لكتاب ( بغداد في عهد الخلافة العباسية ) المطبوع سنة ١٩٠٠ وصلة للبحث الجغرافي الذي بدأته بكتاب ( فلسطين في عهد المسلمين ) المطبوع سنة ١٨٩٠ ولكي أحافظ على اعتدال حجم الكتاب ضربت صفحاً عن جغرافية جزيرة العرب ووصف المدينتين المقدستين ، مكة والمدينة ، مع أن معظم هذه البلاد كان تابعاً لدولة بني العباس . وقد يتناول هذا الموضوع من هو أدرى به مني من الباحثين فيكتب الجغرافية التاريخية لجزيرة العرب ومصر الفاطمية في الجانب الثاني من البحر الأحمر ، ويصف أقاليم شمالي افريقية المختلفة وبلدان الخلافة الغربية في الأندلس البعيدة التي ازدهرت على تصرم عمرها فحينئذاك يتكامل علمنا بالبلاد الإسلامية .

وإن أردنا أن يكون التاريخ الاسلامي ممتعاً مفيداً ، وأن يفهم على حقيقته فهماً صحيحاً ، وجب علينا أن نبحث في الجغرافية التاريخية للشرق الأدنى خلال العصور الوسطى بحثاً مستفيضاً شاملاً . وها أنذا قد بذلت أول جهد في هذا السبيل[1] » .

ثم يصرح الأستاذ بتواضع العالم النبيل ، عن أن عمله هذا ليس كاملاً وإن هو إلا باكورة قد مهدت الطريق لمن يريد أن يتناول الموضوع من بعده ، وإن ما ذكره في الحواشي من المراجع والملاحظات والتقويمات وإصلاح أخطاء

(١) انظر الترجمة ص ٩ - ١٠ .

بعض القدماء من العلماء ، يجب أن يحفز من همم العلماء لإتمام هذا البحث من بعده ويقول : «فكان ما جئت به باكورة التأليف في وصف أقاليم الخلافة العباسية وصفاً كاملاً خلال هذه الحقبة . وما كتابي إلا مجمل ولست أدعي أنه وعى كل شاردة وواردة فقد اضطررت للمحافظة على الحجم الذي أردته له ، إلى تحاشي ترجمة نصوص الرحلات المنتهية الينا من مؤلفي الإسلام ترجمة كاملة» .

فهو كما ترى قد ألف في بعض النواحي وترك نواحي أخرى هي جزيرة العرب وديار مصر ، والشام ، وشمالي افريقية ، وديار الأندلس ، فهذه موضوعات تنتظر الباحث ليكتب فيها ـ شرقياً كان أو غربياً ـ ولكن أحداً من علمائنا ـ فيما أعلم ـ لم يهتم بهذه النواحي ولم يعمل على تكميل النقص وسد الفراغ الذي خلفه هذا المستشرق الفاضل .

★ ★

وبعد فلا يسعني في ختام هذه الكلمة ، التي أردت بها أن أقرظ تعريب الأستاذين الفاضلين ، وأبين الجهد العظيم الذي بذلاه في صدق التعريب وأمانة النقل ، إلا أن ألاحظ بعض الملاحظة على هفوات قلية أو سقطات مطبعية أو غلطات كان يجدر بها الانتباه اليها ، ولكن ما أعرفه عنهما ـ رعاهما الله ـ من التخلق بأخلاق أفاضل العلماء ، يدفعني الى أن أبين لهما ذلك فأقول :

١ ــ جاء في ص ١٠ س ١٦ : (علي تجارات وصناعات الشرق الاسلامي) والصواب (على تجارات الشرق الإسلامي وصناعاته) .

٢ ــ جاء في ص ١٦ س ١٣ : (ما بين النهرين الى اقليمين : الأسفل والأعلى) والصواب (أسفل وأعلى) .

٣ ــ جاء في هامش ص ٢٣ س ٦ : (ولا شك ان نظام الطرق) والصواب (ولا شك في أن) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ — جاء في ص ٣٤ س ١٥ : ( ولا ... انه ) والصواب ( في أنه ) .

٥ — جاء في ص ٣٥ س ١٠ : ( كدربه الآس ، وقربة الجمل ٠٠٠٠وه اشتران ) والصواب ( كقربة الآس وقربة الجمال ) ـ بالجمع ـ لأن اشتران بالفارسية جمع شتر ولأن الجمل بالفارسية هو ( أشتر ) و ( شتر ) والجمع ( اشتران ) و ( شتران ) .

٦ — جاء في ص ٤٤ س ١٣ : ( وقد عاصر النبي محمد ) والصواب ( محمداً ) لأنه مفعول به .

٧ — جاء في ص ٧٨ س ٣ : ( فأنشأ هناك البساتين والأجنة ) والصواب ( والجنائن أو الجنات أو الجنان ) لأن ( الأجنة ) جمع جنين وأما جمع ( جنة ) فهو جنات وجنان وجنائن ، راجع القاموس وشرحه والتاج والصحاح .

٨ — جاء في ص ١٢١ س ٧ : ( نهر داقوق ) و ( مدينة داقوق ) والصواب ( نهر دقوق ) بدون ألف ، أو ( نهر دقوقاء ) ممدودة أما داقوق فهذه تسمية عامية .

٩ — جاء في ص ١٢٥ س ٤ : ( رأس العين ) والأفصح بل الأصح أن يقال ( رأس عين ) بدون تعريف المضاف اليه كما ذكر ذلك ياقوت في بلدانه .

١٠ — جاء في ص ١٣٣ س ٤ : ( بين الرقة والرافقة ) ولم يذكر المصنف ولا المعربان شيئاً عن الرافقة بعد القرن الخامس فقد ظلت الرافقة حتى ما بعد القرن الخامس ، وقد اتخذها المرداسيون عاصمة لهم قبل استقلالهم بحلب ولها ذكر كثير في ديوان الشاعر أبي الفتح بن أبي حصينة شاعرهم . راجع ما قلناه عن الرافقة في ديوان ابن أبي حصينة الذي نحققه الآن .

١١ — جاء في ص ٤٧٩ س ٥ : ( هو النهر المعروف اليوم بسرخاب ) والأفضل كتابتها منفصلة ( بسرخ آب ) . وكذلك ماورد في ص ٤٨١ س ٥ : ( وخشاب ) .

الدكتور محمد أسعد طلس

# آراء وأنباء

ARCHIVE

## وفاة الأستاذ محمد البزم

فقد المجمع العلمي العربي بوفاة الأستاذ محمد البزم عضواً عاملاً مشهوداً له بالشعر وسعة العلم باللغة والنحو وفنون الأدب العربي .

عرف الفقيد في شبابه شاعراً يطبع على غرار الفحول من شعراء العرب

ويحقق في اللغة ، ثم لما درّس العربية في المدارس الثانوية بدمشق ظهر فضله وتضلعه في النحو وفنون الأدب ، واستفاد منه تلاميذه الكثيرون مدة طويلة تزيد على عشرين سنة . وظل يفيد منه الطلاب حتى حال المرض بينه وبين الدرس منذ بضع سنين .

كان شاعراً فصيحاً طويل النفس نظم في أغراض متعددة أهمها قصائده القومية ، وقد يلتزم في شعره ما لا يلزم جرياً على طريقة أبي العلاء المعري في اللزوميات . وله شعر في معان طريفة منها قصيدة في الشطرنج وأخرى في الشتاء .

وكان واسع المعرفة في اللغة حسن التحقيق صحيح الذوق تستهويه الجزالة وتعجبه الرصانة ، وهو واسع الرواية كثير المحفوظ من الشعر والنثر والحكم والأمثال والأجوبة المسكتة وأخبار العرب وشعرائهم وخطبائهم وفصحائهم ، فإذا تحدث في هذا الشأن أسهب وأطال وأتى بالمفيد الممتع . ولقد حبب إليه النحو فتعمق في درسه واطلع على مذاهبه وكان له رأي في نصرة بعض المذاهب وترجيح بعض الأقوال كما كان له رأي خاص في طريقة تدريسه .

انتخبه المجمع عضواً عاملاً سنة ١٩٤٢ وعهد إليه في بعض الشؤون اللغوية كالنظر في بعض المعاجم والمصطلحات التي عرضت على المجمع ، كما كلفه إلقاء قصيدة في المهرجان الذي أقامه للذكرى الألفية لأبي العلاء المعري سنة ١٩٤٤ .

ولقد ألحت عليه الأمراض منذ أكثر من ثلاث سنوات فانقطع عن العمل وأقام في المستشفى العسكري بالمزة حتى وافاه الأجل صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من أيلول سنة ١٩٥٥ وهو في عشر السبعين من عمره . رحمه الله رحمة واسعة وأحسن عزاء العربية وآدابها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

# رأي في منع الصرف

اخواني الأفاضل

كانت كلمتي اللغوية في الجلسة الماضية أكثر فائدة من كلمتي التي ستكون في هذه الجلسة : من حيث أن الكلمة الأولى تضمنت تقرير قاعدة جديدة في اللغة يخرّج عليها طائفة من شواذ الكلمات القديمة وما ضرب على غرارها من الكلمات الحديثة وقد عنونت هذه القاعدة بعنوان ( توهم اصالة الحرف الزائد ) الى آخر ما قلت يومئذ . أما كلمتي في هذه الجلسة فموضوعها خلاف كان جرى [1] بيني وبين الأستاذ فارس الخوري في كيفية إعراب الكلمة غير الممنوعة من الصرف إذا منعت في الشعر من الصرف .

لا يخفى عليكم أيها السادة أن الاسم الممنوع من الصرف قد يصرف لضرورة الشعر وهذا مسلّم لا خلاف فيه . وكذا العكس أي أن الاسم المنصرف كزيد مثلاً يمنع من الصرف أيضاً لضرورة الشعر ولا خلاف في منعه بين النحاة وإنما الخلاف في كيف يكون منعه ؟

أشهر أحكام منع الصرف عدم دخول الجر وعدم التنوين ، فالاسم المنصرف اذا منعناه من الصرف للضرورة الشعرية وكان مجروراً : هل نجنّبه الجر والتنوين معاً أو نجنبه التنوين وحده ؟ يعني هل نقول لضرورة الشعر مثلاً ( مررت بزيدِ ) مكتفين بحذف التنوين أو نقول ( مررت بزيدَ ) أي بحذف التنوين وجعل الكسرة فتحة ؟ قلت انا نقول ( مررت بزيدِ ) وقال الأستاذ فارس بل نقول مررت بزيدَ .

(١) كان ذلك في احدى جلسات المجمع العلمي .

واحتدم النزاع بيننا في بعض مجالسنا الليلية ولم يكن بين أيدينا شيء من كتب المراجع في ذلك الحين ثم ما عتم أن غادر الأستاذ دمشق الى أميركا لمهمته السياسية المشهورة وغادرت أنا مجلس المناظرة الى غيابة الذهول والنسيان .

ثم عادت اليّ ذكرى هذا الخلاف ببيت ( اليثربية ) وهو قولها :

( أطعمتم أثوابي من غيركم فلا من مراد ولا مَذْحِج )

فقولها من ( مراد ) بفتح الدال أو كسرها ؟ ناظر الى ما قلنا . ولنمثّل له بالشواهد التي ذكرها النحاة ، من ذلك بيتان من الشعر تحلوهما جدّنا الأكبر آدم عليه السلام وهما :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبرٌ قبيح
تغير كل ذي طعم وريح وقلَّ بشاشةَ الوجهُ المليح

واعربوا ( بشاشة ) تمييزاً وهو مصروف لكنهم منعوه من الصرف بحذف تنوينه للضرورة ، غير أنه لما كان منصوباً أبقوا الفتحة عليه . وهذا البيت لا يصلح أن يكون شاهداً لتصوير الخلاف الذي بيني وبين الأستاذ . أما ما يصلح أن يكون شاهداً من الشعر القديم الفصيح فهو قول ابن قيس الرقيات :

كيف نومي على الفراش ولما تشمَلِ الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى عن خدامِ العقيلةُ العذراء

وقد أراد الشاعر بالشام بلاد الشام كلها أو ما سماه فتيان الشاغوري الطراز الأخضر مذ قال في مدح السلطان صلاح الدين :

خلعت عليه خلعة الملك التي زيدت بهاء بالطراز الأخضر

والخِدام بكسر الخاء جمع خَدَمة بالتحريك وهو الخلخال ويجمع أيضاً على خَدَم . ومن المجاز اطلاق الخَدَمة على الساقِ نفسها تسمية للمحل باسم الحال ،

ومنه حديث سلمان الفارسي « إنه كان على حمار وعليه سراويل وخدمتاه تذبذبان » أي ساقاه . وإلا فان سلمان الفارسي ما كان يلبس الخلاخيل . أما قول ابن قيس الرقيات ( وتبدي عن خدامٍ ) فيحتمل الأمرين أي أن يكون أراد بالخدام أن العقيلة تكشفت عند ذهول الغارة عن خلخاليها أو عن ساقيها .

وكان من خبر هذين البيتين أن قائلها ابن قيس الرقيات الذي لقبه كثيرون بشاعر قريش في الإسلام كان من شيعة عبد الله بن الزبير وحارب مع مصعب فلما قتل مصعب هرب وتوارى ثم أمّنه عبد الملك بن مروان فلما مثل بين يديه قال لمن في مجلسه أتعرفون هذا ؟ قالوا لا ، قال هو الذي يقول : كيف نومي على الفراش البيتين ، فقالوا يا أمير المؤمنين ( اسقنا دمَ هذا المنافق ) فقال : لا قد أمنته .

فقول ابن قيس الرقيات ( وتبدي عن خدام العقيلة العذراء ) أقرؤه أنا ( عن خدامٍ ) بكسر الميم مانعاً صرف خدام ومقتصراً في هذا المنع على عدم تنوينه والإبقاء على الكسرة ، أما الأستاذ فارس بك فيقرؤه ( عن خدامَ ) بحذف تنوينه وبنصب الميم أيضاً . واحتجّ بأنه في ذلك يتحقق معنى منع صرفه إذ أن ملاك منع الصرف عدم التنوين وعدم الجر معاً وقال إن هذا هو المقرر في كتب القواعد النحوية التي درسها في حداثته ، وقلت راداً عليه : إني لا أذكر نصّ ما تعلمته في الحداثة ولكني أعلم أن الضرورة تقدر بقدرها . فإذا حذفنا وقلنا ( عن خدامٍ ) استقام وزن الشعر فلم يبق ثَمّ حاجة لنصب ( خدام ) وجعل كسرتها فتحة ويبقى الجمال اللفظي الذي تشعر به نفسنا عند التلفظ بالكلمة المجرورة بحرف الجر . فكم يكون الفرق عظيماً في ذوق النفس بين قولنا ( عن خدامٍ ) بالجر وقولنا ( عن خدامَ ) بالنصب .

ومن حسن المصادفة أيها السادة أني تصفحت أخيراً دفتراً أودعته دراسات لغوية ونحوية استخرجتها من كتاب (عبث الوليد) لشيخنا شيخ المعرة فوقع نظري فيه على قول البحتري في القصيدة التي مطلعها :

أفي كل دارٍ منك عين ترقرق وقلب على طول التذكر يخفق

واذا هو يقول فيهـا :

وقفت وأوقفت الجوى موقف الهوى ليالي عودُ الدهرِ فينانُ مورق

فقال أبو العلاء ما خلاصته فينان من الفنن فهو فيعال لا فعلان والواجب صرفه وتنوينه فيقال (عود الدهر فينانٌ) لا فينان فهو مصروف لكنـه منع للضرورة ثم قال (وترك تنوين الاسم المنصرف ضرورة كثرت في أشعارهم) وأتى بشيء من تلك الأشعار ثم قال ما نصه :

والمتأخرون من البصريين اذا حذفوا التنوين (من الاسم المنصرف) وكان الاسم مخفوضاً تركوا الكسر على حاله (أي كما قلت أنا في قول ابن قيس الرقيات) أما الكوفيون فيفتحونه تشبيهاً لما ينصرف بما لا ينصرف كما شبهوا ما امتنع من الصرف بالمصروف . انتهى قول المعري . فيكون قول الأستاذ الخوري (وتبدى عن خدامَ) بفتح الميم هو قول الكوفيين . وقولي (وتبدى عن خدامِ) بالكسر هو قول البصريين فالمسألة فيها قولان ككل مسألة في العالم . ويكون شيخنا رهين المحبسين أحسن الله اليه قد أصلح بيني وبين زميلي الأستاذ الخوري وانتهت المشكلة .

## تسمية السيارة بالباص

### هل لها وجه في اللغة العربية ؟

كتب إليَّ بعض الإخوان قائلاً :

ماذا يقول أخونا «المغربي» في تسمية سيارة نقل الركاب بالباص هل لهـا وجه في اللغة العربيـه ؟ فأجبته :

كان زميلي في تحرير (المؤيد) المرحوم سليم سركيس يروي أن العلامة (سليمان البستاني) مترجم الالياذة حدثه قائلاً انه كان موظفاً في العراق في العهد التركي وبينا كان مسافراً في بعض البوادي على فرسه إذا أعرابية تستنجد به في بعض ما أهمها من الأمر فنادته قائلة (يا أبا المناظر يا أبا المناظر) تريد يا صاحب النظارات أو العوينات كما يغلب استعماله في لهجاتنا . وكان على عينيه نظارات فهي أي الأعرابية تضع للعوينات كلمة (المناظر) جمع (مِنظَر) اسم آلة للنظر من دون استئذان علماء اللغة . وسمعت بعض الفضلاء يقول انهم سألوا أعرابية وقد رأوها ترنو متعجبة الى (اوتوموبيل) يجري أمامها . يا أعرابية ماذا تسمى هذه المركبة ؟ أتسمينها (مطية) ؟ قالت لا ! المطية للبل (تريد الإبل) وانما أسميها (الفرّارة) وهي صيغة مبالغة في التي تفرّ كثيراً . ولا جرم أن السيارة كما هي كثيرة السير كثيرة الفرار . واستعمال الفرار في اللغة إنما يكون في الشخص الذي يُطلَب فيفر وركاب السيارة عادة لا يكونون مطلوبين حتى يقال انهم فارّون وسيارتهم فرّارة . نعم ! ولكن الأعرابية رأت أن إمعان السيارة في سرعة السير يشبه الفرار الذي يفعله المرء حين يطلبه طالب . فهذا الجدّ في الجري يكفي في ذوق أهل اللسان العربي أن يسموا جري السيارة فراراً وإن لم يكن راكبوها فارين هاربين من طالب يطلبهم .

ومن هنا ننتقل الى جواب السائل في تسمية سيارة الركاب العامة باصاً ٠

أول ما شاع استعمال (الباص) في لهجة أهل فلسطين وكلمة باص محرفة من كلمة (بوس) (bus) ومعناها المركبة مع كلمة (أوتو) (auto) ومعناها المتحرك بذاته في قولهم (اوتوبوس) قلبوا واو (بوس) ألفاً وسينها صاداً وقالوا (باص) على ان (bus) في اللغة الانكليزية تلفظ (باص) بالألف ٠ وان جواز استعمالها في لغتنا العربية مبني على قاعدة (التعريب) ٠ وجوازُهُ في اللغة يكاد يكون إجماعاً ٠ والذي يروّج هذا التعريب ويدنيه من القبول في الذوق العربي أن مادة (باص) في اللغة العربية تفيد معنى الهروب والفرار، ففي النهاية لابن الأثير أن عمر بن الخطاب أراد أن يستعمل سعيد بن العاص (ومعنى يستعمله يوليه عملاً من أعمال المسلمين) فباص سعيد منه ٠ وقد فسروا باص بالهروب أي أن سعيداً هرب من الولاية التي أراده عمر عليها ففرّ منه وفاته ٠

فسيارة الركاب التي تحمل اسم (الباص) يمكن للعربي الذي يتشاءم من استعمال الكلمات الأعجمية أن يحوّله الى اللسان العربي : فانها أي السيارة تهرب بمن فيها من الركاب وتفرّ جادّةً في السير كأنها هاربة فارّة وإن لم يكن راكبوها هاربين ولا فارين على حد الفتوى التي أسمعتنا إياها تلك الأعرابية مذ سمّت السيارة (فرّارة) أي شديدة الجري وان لم يكن من فيها فاراً ٠ على أن (البوص) كما يكون بمعنى الفرار يكون بمعنى السبق والتقدم كما في كتب اللغة ٠ والحق ان كلمة (الباص) أعجمية وان القول بأنها من أصل عربي فيه تكلف لا حاجة اليه واللغة العربية في غنية عنه والسلام ٠

المغربي

## كلمة الأمير مصطفى الشهابي

### رئيس وفد الحكومة السورية وممثل المجمع العلمي العربي

في حفلة افتتاح المؤتمر العلمي العربي الثاني بالقاهرة في ٥ ايلول « سبتمبر » ١٩٥٥

يسر وفد الحكومة السورية أن يحيي هذا الحشد الكريم أجمل تحية ، وأن يتمنى لهذا المؤتمر التوفيق في خدمة أمتنا العربية .

وبعد رب قائل يقول : ان كشف النقاب عن أسرار الطبيعة وقوانينها يحتاج الى مال كثير ، وأدوات عديدة ، واختصاص واسع ، وانقطاع الى العلم النظري والى التجارب العملية . ويقول : إن هذه الأشياء هي اليوم وقف على فئة من علماء الدول الكبرى وحدها . أفيكون في مقدور علماء العرب أن يشاركوا فيها ، وهم بعدُ أبناء أمس في مدارسة العلوم الحديثة ؟

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والجواب عن ذلك بسيط لا يخفى على جمهرة المثقفين من الناس . وهو ان العلوم في أيامنا هذه خضم واسع مترامي الأطراف ، فلئن تعذر علينا مزاولة بعض هذه العلوم لأسباب مادية ، فليس من المتعذر معالجة بعضها بجهد الرجل العالم وصبره وإخلاصه لعلمه ولأمته وللبشرية جميعاً .

وهناك ثلاثة ميادين على الأقل لا يعجز علماؤنا الأثبات عن أن يجولوا فيها ، وأن يكونوا فيها من المبرزين . فالأول دراسة تراث أجدادنا العلمي والأدبي والفلسفي دراسة تخصص وتعمق واستقصاء ، بغية إحياء الصالح لزمننا من هذا التراث العظيم ، وهو شيء كثير ، وبغية الإفصاح عما لم يبق له إلا قيمة تاريخية جليلة ، بعد أن اتسعت العلوم الحديثة ، وصارت تعالج بالأسلوب العلمي وحده .

والثاني دراسة شؤون أمتنا العربية وشؤون بلادنا العربية . فأمامنا متسع من العمل في مدارسة أخلاق شعوبنا وعاداتها وتقاليدها ، وما فيها من قوى كامنة ، وما هي في حاجة اليه من وعي قومي صحيح ، وتفكير علمي سليم ، وسلوك في الحياة قويم ، ومعارف عامة يتميز بها الشعب الواعي من الشعب الجاهل .

وأمامنا أيضاً مجال واسع لمدارسة خطط بلادنا ونباتها وحيوانها ومعادنها ومياهها وقابلياتها الزراعية والصناعية والاقتصادية وغير ذلك من الأمور اللاصقة بنا التي لا تعالج إلا بالأساليب العلمية الراسخة .

أما الميدان الثالث فهو ميدان لغتنا الضادية المضربة وما لها من حق على علماء أمتنا العربية . فهي لغة القرآن الكريم ، وهي أهم رابطة تشد بعض الشعوب العربية الى بعض . فهل عمل كل عالم من علمائنا وكل أستاذ من أساتذة جامعاتنا على جعلها تتسع للعلم الذي انقطع لمدارسته ؟ ان هذا المجال الحيوي ما برح أمامنا واسعاً ، وان مجمع اللغة العربية ، وفيه فقهاء أعلام بالعلوم والآداب واللغة ، ما برح يأمل أن يتلقى من كل أستاذ نتيجة جهده المشكور في مصطلحات العلم الذي اختص به ، لكي يناقش هذه المصطلحات الموضوعة أو المحققة ، فيقر أرجحها ، ويتجاوز عن المرجوح منها .

هذه ميادين ثلاثة ذكرتها للتمثيل لا للحصر . وهي ميادين من العار علينا أن يسابقنا فيها غيرنا من العلماء الأجانب فيكونوا فيها من المجلين ، ونجيء نحن بعدهم في المصلين .

ثم لا يجوز أن تظل أعمالنا فيها وفي غيرها أعمالاً فردية محصورة في رقعة صغيرة من أرض الوطن .

ولعل من أهم الأغراض التي تنشدها جامعتنا العربية وينشدها المؤتمرون أن ينشأ عندنا في أقرب وقت اتحاد علمي عربي يكون أداة فعالة في جعل علمائنا

كجمّاع الثريا يتعارفون ويتآزرون ويتبادلون نتائج بحوثهم ودراساتهم ، أي يعملون في مجال العلوم عمل أمة عربية واحدة ، في وطن عربي واحد ، لا عمل أفراد متفرقين بَدادِ يقبع كل منهم في بيئته الضيقة فلا يطّلع على عمل زملائه في الأقطار العربية الأخرى ، ولا يطلعون هم فيها على عمله .

وسورية التي فيها نشأت فكرة العمل المنظم للقضية العربية ، والتي جعلت في صلب دستورها واجب السعي الى توحيد صفوف العرب في جميع ميادين الحياة ، ومنها ميدان العلوم النظرية والتطبيقية يسعدها أن تشارك في أعمال هذا المؤتمر العلمي العربي ، ويسعد وفد حكومتها ومجمعها العلمي العربي أن يشكر للأمانة العامة لجامعة دولنا العربية ، وللجنة إعداد المؤتمر ، جميل عنايتهما به ، وحسن تدبيرهما لشؤونه .

أما مصر العزيزة رئيساً وشعباً وحكومةً فلها من صميم أفئدتنا محبة المؤمنين بأنها في العالم العربي قطب الرحى ، ومستقَر الإلهام ، ومعقد الرجاء ، والرأس الذي تقوم عليه الأعضاء ، ولا غنى له عن الأعضاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## تقرير عن المؤتمر

... قام كل عضو من أعضاء الوفد السوري بالواجب الملقى على عاتقه خير قيام فقدم بحثاً نيه من الطرافة والابتكار وحسن التعبير والاداء مع الايجاز والاختصار ما جلب اليه الأنظار وما جعل موضوعه حديث المؤتمرين وموضع إعجابهم وتقديرهم .

١ – قدم الدكتور شوكت الشطي بحثاً عنوانه «الوراثة وتحسين النسل» ضمّنه الآراء القديمة والحديثة وتعرّض فيه الى موضوع الساعة وهو تعقيم المصابين بالأمراض الوراثية بين أنصاره وخصومه كما عالج الناحية الدينية في هذا الموضوع مبيناً أن ليس في هذا التعقيم ما يعارض تعاليم الإسلام وقواعده الفقهية .

٢ — قدم الدكتور أنطون الجناوي بحثاً عنوانه « الطاقة الذرية في خدمة الإنسان » لخص فيه ما دار من مباحث ذات شأن في مؤتمر جنيف عن الطاقة الذرية في خدمة السلم ، فجاءت كلماته سادة الفراغ العلمي العميق الذي كان يشعر به كل متتبع لهذا البحث من المؤتمرين .

٣ — قدم الدكتور صبحي المظلوم بحثاً عن استصلاح الأراضي الصحراوية في سورية تناول فيه ببلاغة وإيجاز كل ما له صلة بهذا الموضوع ثم خص البلاد العربية كلها ببحثه مبيناً إمكانياتها العظيمة شارحاً طرق الاستفادة من ثروتها المائية الضائعة اليوم .

٤ — وقد عنيتُ بموضوع المصطلحات فقدمت بحثاً عنوانه « توحيد المصطلحات العلمية في البلاد العربية » بينت فيه رأيي في أوجز طريقة يجدر بنا اتباعها لتوحيد تلك المصطلحات في مدة وجيزة وهي إقامة تعاون بين مجمع اللغة العربية في مصر والأمانة العامة لجامعة الدول العربية ولفيف الأساتذة والعلماء العرب القادرين على وضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها ضمن العلوم التي اختص كل واحد منهم بها . وخلاصة هذا البحث إيجاد معجم افرنجي عربي للمصطلحات العلمية ينفق عليه مجلس جامعة الدول العربية بين ٥٠٫٠٠٠ و ١٠٠٫٠٠٠ جنيه مصري ، ويقوم مجمع اللغة العربية على إدارة العمل وإقرار المصطلحات كما يقوم العلماء العرب الاختصاصيون بوضع قوائم أو معجمات صغيرة في اختصاصاتهم . وقد قدرت في بحثي لهذا العمل خمس سنين من الزمن . وهذا البحث كنت قدمته الى مجمع اللغة العربية وباحثت فيه وزير التربية والتعليم في مصر والأمين العام لجامعة الدول العربية .

ولا يخفى أن كبار المشتركين في المؤتمر ينشيعون لثلاثة مذاهب :

يقول أولها بجعل لغة التدريس العالي في البلاد العربية أجنبية ويزعم أن اللغة العربية عاجزة عن مسايرة التطور في التعليم الجامعي .

ويوصي ثانيها بالتوسع في التعريب توسعاً زائداً .

ويوصي ثالثها بعدم الالتجاء الى التعريب إلا إذا تعذرت الترجمة واستحالت .

وقد استطعنا أن نجعل المؤتمرين يقرون مبدأنا الأخير ويسيرون على ضوئه .

... هذا وسيطبع المؤتمر في كتاب خاص جميع البحوث التي بحثت مع عرض المناقشات والتوصيات التي اتخذت .

مصطفى الشهابي

## محاضرة الأستاذ غيوم

ألقى المستشرق المعروف الأستاذ الدكتور ألفرد غيوم عضو المجمع العلمي العربي محاضرة في استكهولم (عاصمة بلاد السويد) عن (الدين الإسلامي في العصر الحديث) ذكر فيها أثر المعاهد العلمية والدينية المصرية في العالم الاسلامي، وتكلم عن الأزهر وعن الجامعة السورية وعن المتحف الوطني في دمشق، وأسهب في الحديث عن المجمع العلمي العربي وعن مجلته (رفيعة المستوى)، وأثنى في مواضع كثيرة من محاضرته على صفات المروءة والكرم والنجدة والأخلاق الكريمة التي يتحلى بها سكان الشرق العربي والتي تجلت للمحاضر إبان رحلاته العديدة في البلاد العربية . ثم عقب على المحاضرة باجابة محكمة على الأسئلة التي وجهها الحضور إليه في بعض القضايا الإسلامية .

وقد اتصل بالمجمع نبأ هذه المحاضرة الرصينة فكتب إلى صاحبها يحمد له جميل قوله ويثني على نبيل شعوره ويشكر له إنصافه العرب والمسلمين .

هذا وقد علم المجمع أيضاً أن الأستاذ غيوم قد فرغ من ترجمة (السيرة) إلى الانكليزية وأنه سينشر هذه الترجمة في شهر تشرين الثاني من هذه السنة .

## ملاحظات على

## ديوان النابغة الشيباني (١)

المطبوع بعناية العلامة أحمد نسيم في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥١

— ١ —

لا أريد التعمق في حياة هذا الشاعر الذي نبغ في عصر كثر فيه الشعراء المغلقون ، ولكن يقتضي النظر فيما قاله أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الأغاني ويكرره من تبعه أنه كان نصرانياً ولعله ذكر البيتين (ص ١٠٨) :

آليتُ جهداً وصادق قسمي ... بربِّ عبدٍ تجنّه الكُرُحُ
فهو يتلو الإنجيل يدرسه ... من خشية الله قلبه قَفِحُ

ولكن رب الراهب هو أيضاً ربّ كل المسلمين ولا حجة في البيتين على أنه كان نصرانياً بل يظهر من البيتين الآتيين أنه كان مسلماً (ص ١٧) :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويَزْجُرُني الإسلامُ والشيبُ والتقى ... وفي الشيب والإسلام للمرء زاجِرُ

وأيضاً (ص ٦٩) :

وله نَحْبَةٌ اذا قام يتلو ... سُوَراً بعد سُورة الأنفال

ولهذين البيتين وغيرهما في الديوان لا أشك بأنه كان مسلماً .

والنابغة الشيباني من الشعراء المقلين ولولا النبذ التي أوردها الأصبهاني والنسخة الفريدة من ديوانه التي هي أصل الطبعة لذهب ذكره وهذا عجيب إذ في ديوانه من غريب اللغة ألفاظ كثيرة لم تدخل في معاجم اللغة العربية ولم يذكر صاحب اللسان وناقله صاحب تاج العروس إلا بيتاً واحداً في مادة (بهـل) ولم أجد زيادات على ما في ديوانه إلا في حماسة البحتري (ص ٨٩ و ٢٢٨ و ٢٩١

(١) من مخلفات المستشرق الكبير المرحوم سالم الكرنكوي ننشرها الآن . (المجلة)

و ٣٢٤ و ٣٢٩ و ٣٣٩ ) ولم يكن للناشر إلا نسخة حديثة العهد محفوظة في خزانة دار الكتب المصرية مكتوبة بخط العلامة المرحوم محمد محمود الشنقيطي نقلها عن نسخة وجدها في إحدى خزائن الآستانة لم تكن في جودة سائر النفائس التي استنسخها العلامة المذكور فكان من حسن حظي ان صديقي المرحوم الأستاذ رودلف ماير أعارني في سنة ١٩٢٢ تصاوير شمسية حصلها من الآستانة وقد أنسيت مكان النسخة الأصلية ولكن لا شك أنها النسخة نفسها التي نقلها الشنقيطي إذ وجدت في طرة صفحة ٥٠ من أصلي بخط مغربي : « قلت صوابه نسيل بالنون وكتبه محمد محمود » . وكان في الأصل يسيل بالياء المثناة ( ص ٤٥ سطر ١١ من الطبعة ) وفي المقابلة وجدت اختلافاً كثيراً بين نسختي والمطبوعة فوقع لي أن أفيد محبي الشعر العربي القديم بما قرأت أنا في الأصل ليحكموا بنفسهم هل أخطأ العلامة الشنقيطي في نقله ؟

ص (١) في نسب النابغة نجد غلطين الأول سليم بن خصيرة وفي الأصل سليمن أي سليان وقد نجد في النسخ القديمة الاسم سليان مكتوباً بلا الف ، والثاني حمّاد وفي الأصل حمار بكسر الحاء وبالراء ، والميم غير مشددة وهو الصواب إذ حمار اسم إسلامي وقد كثر اسم حمار في الجاهلية مثلاً في نسب عدي بن زيد بن حمار العبادي الشاعر المشهور والمعقّر بن حمار البارقي الشاعر في عهد بني أمية وغيرهما .

| صفحة | سطر | |
|---|---|---|
| ١ | ٦ | : أيْ داءٌ أصابه . |
| | ٨ | : في الأصل دبيبه . |
| | ٩ | : وأعجبَ سلمى ... |
| ٣ | ١ | : في الأصل الحُرّ بالضم وهو الصواب إذ الحُرّ لقب للأفعى . |

| صفحة | سطر | |
|---|---|---|
| ٢ | ٦ | : كتب فوق برهرهة شرحاً شابّة . |
| | ١٠ | : الأصل بنيله . |
| ٣ | ٦ | : فذو الصوت لا يجلى . |
| | ٨ | : اذا أنشدتْ . |
| ٤ | ٦ | : الأصل الزبتُ فتَلها بفتح الفاء . |
| | ٨ | : الأصل رَباعَها بفتح الراء . |
| | ٩ | : الأصل أنجَدْ وهو خطأ . |
| ٥ | ٥ | : الأصل ويروى آرَقُ . |
| | ٦ | : الأصل بعرق . |
| | ٧ | : في الأصل وأصحت : صوّبت كما في المطبوعة ولكن الصواب ضَحّت بالجيم المشددة . |
| ٦ | ٧ | : قبل الاشوه في الأصل شُوه : نعام . |
| ٧ | ٤ | : الأصل الجنّ . |
| | ٥ | : الأصل جائلا بالجيم . |
| | ٩ | : الأصل لها تصَدعٌ من خلف . |
| ٨ | ٣ | : من خدّه وفي الأصل من زرّه أي من عضه . |
| ٩ | ١ | : الأصل صَفَحت بلا تشديد وكذا في سطر ٣ . |
| ٩ | ٤ | : الأصل تُوتَدى . |
| | ٥ | : الصواب الجوزاء . |
| | ٦ | : سَموم وفوق نيرتا شرحاً لون . |
| | ٧ | : في الأصل بتنشّق وفي الهامش خ بتشقّق . |

| صفحة | سطر | |
|---|---|---|
| ٩ | ٨ | : الأصل المحزّق بكسر الزاي . |
| ١٠ | ٥ | : الأصل وحملّق بفتح اللام . |
| ١١ | ٥ | : الأصل تُلْوي بضم التاء . |
| ١٢ | ٥ | : الأصل سعُرة بالعين وفي الهامش خ وسُمْرة . |
| | ٩ | : الأصل صدّني وفي الهامش صدّتا كلاهما بالتشديد . |
| ١٣ | ٣ | : الأصل فوق عنسٍ كنينةٍ . |
| | ٤ | : الأصل رقّت جلوداً . |
| | ٥ | : الأصل عناقدها . |
| ١٤ | ١ | : الأصل يَسْتَبي . |
| | ٢ | : الأصل حُصيدا بالتصغير ورُماح بالضم . |
| ١٥ | ١ | : الأصل مُزْنَةٍ وفي الحاشية ويروى يجاوبه . |
| | ٧ | : الأصل تَجُرُّ . |
| ١٧ | ٥ | : الأصل من العُتق بضم العين . |
| | ٦ | : الأصل فاتر بالقاف وهو الصواب . |
| ١٨ | ٢ | : الأصل الآخر كما في المطبوعة والصواب آخِر بلا ألف ولام . |
| | ٣ | : الأصل يعقِب . |
| | ١٢ | : الأصل اومن يَصرِف . |
| ١٩ | ٨ | : الأصل تَخير بنقش مُتْنتها . |
| ٢٠ | ٢ | : الأصل كأنّ تناويرَ ... دماء . |
| | ٣ | : الأصل دارُها مني (كذا) . |
| | ٦ | : الأصل وساحَتَه . |
| | ١٠ | : الأصل رائعة . |

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

| صفحة | سطر | |
|---|---|---|
| ٢١ ، | ١٠ | : الأصل أَحشُّ . |
| ٢٢ ، | ٩ | : الأصل وحنك (بدل والحدك في المطبوعة) . |
| ٢٣ ، | ٨ | : الأصل عَذاب لو يجاد به . |
| ٢٥ ، | ١ | : الأصل العُطْسُ بالعين . |
| | ٢ | : الأصل أُجْن بفتح الألف . |
| | ٣ | : الأصل الركبُ . |
| | ٥ | : الأصل عرّهن بعلامة إهمال الراء . |
| ٢٦ ، | ١ | : الأصل حوص بعلامة إهمال الحاء ، ومنها رقاب الركب . |
| | ٣ | : الأصل سُدَس بضم السين . |
| | ٥ | : الأصل بعلقْ بها . |
| ٢٧ ، | ٣ | : الأصل دُومة بضم الدال . |
| | ٨ | : الأصل شتانَ بفتح النون . |
| ٢٨ ، | ٥ | : الأصل يجيل بالجيم . |
| | ٨ | : يَصيدك بفتح الياء . |
| | ٩ | : الأصل تعَسوا بفتح العين . |
| | ١٠ | : الأصل رُكِسوا . |
| ٢٩ ، | ٦ | : الأصل خَمِسوا بكسر الميم . |
| ٣٠ ، | ١٣ | : الأصل عليُّ قدور . |
| ٣١ ، | ٢ | : الأصل وحواهم . |
| | ٣ | : الأصل فإنّ امرءاً أدا أي أدّى . |
| | ٩ | : الأصل قَوابة بفتح القاف . |

(يتبع) سالم الكرنكوي

# ملاحظات على مصطلحات كيمياوية

## - ٢ -

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ١٤ — مركب إضافة additive compound .

قلت : مركب انضمامي ، من ( الضمّ قبض شيء الى شيء وقد ضمّه فانضمّ اليه وتضامّ ، وضامّ الشيء جمعه الى نفسه ) ففيها معنى الجمع والاندغام . أما الإضافة فهي مجرد المزج والخلط ، وليس هو المقصود من الكلمة الافرنجية .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ١٥ — خاصة جمعية additive property .

قلت : خاصة انضمامية ، للسبب الآنف الذكر في الكلمة السابقة .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ١٦ — تفاعل إضافي additive réaction .

قلت : تفاعل انضمام أو تضام ، للسبب المذكور في الكلمة السابقة لئلا يلبس بمعنى الكلمة الافرنجية ( supplémentaire ) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ٢٥ — مزّ ، امتزّ adsorbe .

قلت : إستجذب ، من ( جَذَبه مدّه والشيء حوّله عن موضعه ؛ وتجذّبه شَرِبه ) ، تمييزاً من ( الامتصاص absorption ) .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ٢٦ — ماز adsorbent .

قلت : مَجْذَبَة ، وزان مَفْعلة الدال على الذي يفعل . فالمجذَبة ذلك الجسم الذي يتجذَّب الشيء الموضوع معه .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ٢٧ — امتزاز adsorption .

قلت : استجذاب ، للسبب المذكور في الكلمتين الآنفتين .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٤ — مَذْق adulteration .

قلت : تَمْويه ، غش . أما المَذْق فهو مزج اللبن بالماء ، يقابل الكلمة

الافرنجية (mouillage) . وكذا الكلمات المشتقة من المذق المذكورات في العمود نفسه (س ـ ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٥) .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٩ — أُلفة affinity .

قلت : وكذا (العَلاقة) أيضاً لمعنى ذاته .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ١٠ — عامل حفّاز catalytic .

قلت : عامل وَسيط ، من (الوَساطة) ، و (الوسيط ، المتوسِّط بين المتخاصِمَيْن ، وتوسَّط بينهم عمِل الوساطة) ، لأنه يتوسط لإتمام الفعل الكيمياوي بين الجسمين المتماسّين . أما الحفّاز فمن (حَفَزه) أي دفعه من خلفه ، وعن الأمر أعجله وأزعجه وليس فيها المعنى المراد من الكلمة الافرنجية . فالعامل لا يدفع ولا يحثّ انما يتوسط لحدوث الفعل لا أقل ولا أكثر .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ١٨ — الزلال albumin .

قلت : آح ، وهو أبيض البَيْض . أما الزلال فهو صفة للماء ، يقال ماء زلال أي عَذْب . وليس بين الماء العذب والآح وجه شبه من حيث الصفاء ولا من حيث الطعم .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ١٩ — الكحول alcohol .

قلت : غَوْل . انظر ما قلتـه في (كلمة الكحول الصرف رقم ١٦) . وكذا ما ورد في السطور ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ : (غولي ، مقياس الغول ، قياس الغول) .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٢٣ — حَلْكَلَ alcoholyse .

قلت : غَوْحَلَ ، من (غَوْل — حلّ) كما في الافرنجية .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٢٤ — تحلْكُل حلْكَلَة alcoholysis .

قلت : تغَوْحُل — غَوْحَلَة ، كما في الافرنجية .

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٥ — تقلية alcalinisation ٠

قلت : قَلْوَنَة ، اشتقاقاً من القِلْي والقِلْو كصِنْو . أُريد بها جعل الشيء قلوياً أي ذا خواص القلويات . أما ( التقلية ) فهي من ( قَلا الطعام أنضجه في المِقْلاة ) فلا يصح استعمالها إلا لما يقابل الكلمة الافرنجية ( to fry و frire ) أي قَلاً . ومن هذه الكلمة تشتق بسهولة الكلمات : ( قَلْوَنَ alcaliniser ) ، ( مقلوَن alcalinisé ) .

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٦ — قَلّى alcaliniser ٠

قلت : قَلْوَنَ ، للسبب المذكور آنفاً .

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٧ — شبقلي alcaloide ٠

قلت : قَلْوِيد ، باستعمال الوَسْمة ( يد ) على النمط الافرنجي المتفق عليه بين جميع الكيمياويين .

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٨ — ألكيل alkyl ٠

قلت : غَوْلِيل ، من كلمة ( غَوْل ) موسومة بالوسمة ( يل ) المتفق عليها بين جميع الكيمياويين للدلالة على الجذور والكلمة بالفرنسية alcoyle ٠

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ١٤ — متعاوَر alterné ٠

قلت : متناوَب . ومثلها الكلمة التي بعدها في السطر ١٥ ( تناوُب ) بدلاً من ( معاوَرة ) . يقال عاوَرَ المكاييل ، لغةً في عايَرَها ، وتعاوروا الشيء تداولوه ، من العَوَر أي العيب . أما التناوب ، فمن النَّوْبة وهي الفرصة ، وتناوبوا على الماء تقاسموه على حصاة القَسْم ، هذا مرة وذاك مرة .

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ١٩ — اميد ( جمعه اميدات ) .

قلت : قد جمعته على ( أواميد ) دفعاً للبس حتى لا يتوهم أن ( ات ) تقابل ( ate ) الافرنجية الدالة على أملاح الحموض الاكسجينية ، كقولنا مثلاً : كبريتات ، ازوتات ... الخ .

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٢١ — امين ( جمعه امينات ) .

قلت : اوامين ، كما في اواميد دفعاً للبس ، على النحو المذكور آنفاً .

صفحة ٢٦٦ عمود ٢ سطر ٥ — نزيف anhydride .

قلت : بلا ماء ( لا مائي ) . أما النَّزيف ، من ( نُزِفَ فلان دمُهُ كعُنِيَ سال حتى كاد يفرط فهو منزوف ونزيف ) فلا يجوز بوجهٍ من الوجوه أن يطلق على ما يوافق الـ ( انيدريد ) أي عديم الماء .

صفحة ٢٦٦ عمود ٢ سطر ٦ — غامد anhydrous .

قلت : ثامد ، من ( الثَّمْد والثَّمَد والثِّماد ) : الماء القليل لا مادة له أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف ، والمثمود ماء نفد من الزحام عليه إلا أقله ) ففي كل هذا ما يدل على قلة ماء أو نفاده ، فكلمة ( ثامد ) إذن أصلح من ( غامد ) من ( غَمِدَت الركية ذهب ماؤها وغَمِدَت كفرح كثر ماؤها أو قل ) . والغامد البئر المندفنة أو السفينة المشحونة ) ففي كثرة المعاني المتضادة ما يبرر إهمال كلمة ( غامد ) .

صفحة ٢٦٦ عمود ٢ سطر ١٠ — انتيمون antimoine .

قلت : اصطلحنا عليه بالكلمة العربية ( إثمد ) وهو حجرٌ للكحل معروف .

صفحة ٢٦٧ عمود ١ سطر ٧ — حامض الصمغ الجاوي benzoic acid .

قلت : حمض الجاوي ، إذ ابس البخور الجاوي بصمغٍ ، إنما هو راتينج résine فيجب حذف كلمة الصمغ .

صفحة ٢٦٧ عمود ١ سطر ١٤ — تربينات ثنائية biterpènes .

قلت : تَرْبِنات ، بفتح الباء لئلا يلبس بالتربين terpine .

صفحة ٢٦٧ عمود ٢ سطر ٤ — سحاحة burette .

قلت : سَتَّالة ، من ( سَتَلَ ، سال قَطَراناً أي قطرة قطرة كالدمع واللؤلؤ )

إذ يُسَيِّل منها المائع (أي يصب قطرة قطرة) على وعاء التفاعل الموضوع فيه الشيء المطلوب عياره . وكذا القطّارة . أما السحاحة فهي لما يقابل (pissette) .

صفحة ٢٦٨ عمود ١ سطر ١٩ — سلسلة مقفلة closed chain .

قلت : سلسلة مغلقة . فالقفــل ، الحديد الذي يغلق به الباب . وليس للسلسلة هنا قفل تقفل به إنما هي رمز لانغلاقها على نفسها ، على خلاف السلسلة الخطية لصيغ الأجسام اللادورية .

صفحة ٢٦٨ عمود ١ سطر ٢٢ — شِبْغَرَاء colloïd .

قلت : غَرَويد ، من الغَرَا موسومة بالوسمة (بد) .

صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٧ — نقطة الانعقاد congelation .

قلت : نقطة التجمّد أو الجُمُود . وبما أن المصطلح الافرنجي خاص بالماء فالأَولى أن يقال (نقطة الجُمُوس) لأن الجموس هو الجمود وأكثر ما يستعمل في الماء . وليلة جماسية باردة يجمس فيها الماء وكذا (الجَمَس) فهو جمود الماء وغيره .

(يتبع) الكواكبي

---

## تصويب أغلاط مطبعية

وقعت في كلمة الدكتور الكواكبي

(مجلد ٢٩ جزء ٢ صفحة ٣٠٤ سطر ١٠) :

| خطأ | صواب |
|---|---|
| كما هي عليه القواميس | كما هي عليه المقاييس |

وفي السطر الأول من حاشية الصفحة نفسها لم تذكر كلمة raffinage فلتضف .

## شجرة الدارم ومزيتها

راجعاً إلى ما كتبت في مجلة المجمع العلمي الدمشقي (مج ٢٩ ، ص ٤٧٦ وما بعدها) أخبر أهل العلم بكل سرور أن الأستاذ ليوين (من أبسالا) عثر على نسخة المجلد الثالث من كتاب النبات للدينوري ، في إحدى مكاتب أميركا وسينشره عن قريب إن شاء الله ·

وفي هذا المجلد « باب الشجر الذي تتخذ منه المساويك وبعض ما نستحسن وضعه من وصف السياك والاستياك » · فأقتبس منه ما ورد عن الدارم تتميماً لما ذكرتُ قبل هذا وشاكراً للأستاذ الاسوجي الفاضل · وهو كما يلي :

« وأخبرني بعض الأعراب أن الدارِم شجر شبيه بالغَضا ، يستاك منه النساء ، فيُحمِّر لِثاتهنّ وشِفاههنّ حُمرة شديدة ، وهو حِرّيف · وأنشدني بعضهم :

إنما صلّ فؤادي دارمٌ بالشفتين

ونساؤهم يعجبهم (? يعجبهن) ذلك لعُجب رجالهم · ولذلك يستعملن مضغ الفوفل مع التامول [1] لتحمير لثاتهن وشفاههن ، وإن كان يشدّ اللثة ويطيّب النكهة · حتى أن الرجال ليفعلون ذلك » ·

(باريس) محمد حميد الله

---

## هدية الى الظاهرية

أهدى الأستاذ رفيق التميمي الى دار الكتب الظاهرية مجموعة من الكتب العربية والأجنبية بلغت (١٦٣) مجلداً ، فله الشكر الجزيل ·

---

(١) والعادة لا تزال في باكستان وفي الهند الى هذا اليوم ·

## استدراك على ( كتاب اللمعة للأنباري )

نشرنا على صفحات هذا الجزء ( من ص ٥٩٠ الى ص ٦٠٧ ) كتاب اللمعة في صنعة الشعر للأنباري ، معتمدين صورة مخطوط استانبول . فلما كاد يتم طبع هذا الجزء بعث الدكتور صلاح الدين المنجد مشكوراً إلى المجمع العلمي صورة تسع رسائل للأنباري مأخوذة عن مخطوط محفوظ في خزانة كتب أحمد الثالث في استانبول . وجاءت هذه الرسائل في الصفحات (٨٩ إلى ١٢٠) من هذا المخطوط . ومن هذه الرسائل التسع كتاب اللمعة في صنعة الشعر للأنباري . وصورة الكتاب هذه أوضح رسماً من صورة المخطوط الذي اعتمدناه في نشر الكتاب ولكنها تنزل عنها صحةً وضبطاً ، على أن الخلاف بين نصيها يسير في جملته . ونحن مثبتون هنا المهم من وجوه الاختلاف :

| الصفحة | السطر | النص المنشور في هذا الجزء | نص المخطوط الثاني |
|---|---|---|---|
| ٥٩٥ | ٧ | في صنعة الشعر | في صنعة الشعر ومعرفة فنونه |
| | ١٥ | وهي أكثر فنون | وهي من أكثر فنون |
| ٥٩٦ | ٢ | البَلا | البِلى |
| | ١٦ | سلكهما واحد | شكلها واحد |
| ٥٩٧ | ٤ | الكلم متساوية | الكلم متعادلة |
| ٥٩٨ | ١٣ | ١٠ - . . . . . | ١٠ - المبالغة : |
| | ١٧ | ١١ - . . . . . | ١١ - الإيغال : |
| | ١٨ | كأن قلوب الطير . . . . النخ . | كأن فتاتَ العهن في كل منزل<br>نزلن به حبُّ الفنا لم يُحطَّم |
| ٦٠١ | ٢٠ | بمعنى غير مشروح | بمعنى مشروح |
| ٦٠٤ | ١٠ | ان كنت عاذلتي . . . . . النخ . | إن كنتِ كارهة لعيشتنا<br>هاتا فحلّي في بني بدر |
| ٦٠٥ | ١٢ | يذكر مثالاً يحترز | يذكر بيتاً لا يحترز |
| ٦٠٦ | | فنا حسين . . . | فنا حصين . . . |

عبد الهادي هاشم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com